مسرحية

صياد النعام

احـتفال مسرحي في نفسين

النفس الأول

1 - استهــلال ...

(سرير كبير، تتدلى عليه من فوق ستارات بيضاء شفافة . يظهر السرير وكأنه مسرح عرائس .يصدر من مكان ما دخان كثيف، ويغرق المكان في جو من أجواء الأحلام.. نسمع نبض دقات القلب، ونحس بأنفاس متلاحقة وشخير ثم .. فجأة يرن جرس المنبه . تقوم امرأة داخل السرير وهي مذعورة . تنظر في كل الجهات، وتحدق في المكان وكأنها تكتشفه لأول مرة، وفي حركة عصبية، تمسك بالمنبه، وترمي به بعيداً، فيكف عن الرنين)

المـــــــــرأة : (بارتياح) آه. كم هو مزعج هذا الصوت. إنه يعلن عن شيء، ويشير إلى شيء .. شيء لا أعرفه أنا..(نكتشف ، على وجه المرأة مادة بيضاء لعلاج البشرة) أنا .. لقد قلت أنا ..ومن أنا؟ وأين أنا؟ يظهر أنه الصباح. وصباح أي يوم ؟ لست أدري و.. هذا البيت الذي أنا فيه .. بيت من هو؟ بيتي أنا ؟ (تضحك) وما معنى أنا ؟ يا عظمة الله ! إن ذهني الآن مشتت.. يا ويلي.. لقد قلت الآن.. نعم قلتها. وهذا معناه، وجود شيء سابق، ووجود لحظة أخرى تسمى قبل.. وتلك اللحظة، متى كانت ؟ وكيف راحت ؟ ولم تبخر؟ و.. كل الأسرار في تلك الساعة المزعجة التي حطمت..(فجأة يدق منبه آخر ، ويقوم بالقرب من المرأة رجل في بذلة النوم ، وهو في حالة فزع)

الرجـــــــل : بسم الله الرحمن الرحيم، لقد كان.. كابوساً مزعجاً..

المـــــــــرأة : (وقد فاجأها وجود رجل (غريب) إلى جانبها وفي سريرها) من ..أنت؟ ومن أنت ؟ وكيف جئت ؟ ولماذا أنت هنا؟ ومن أين أتيت؟ هل أنت سارق؟ هل أنت قاتل ؟ هل أنت إنسي ؟ هل أنت جني ؟ قل بسرعة..قل .. (ينظر إليها لأول مرة فيرعبه وجهها المطلي بالبياض) و.. آ أمي ..الكابوس في فراشي.. يظهر أنني لم أستيقظ بعد..(يقوم بحركة بطيئة وكأنه يقاوم

جسداً وهمياً يضغط عليه)

المـــــــرأة : ماذا تفعل أيها المغفل ؟

الرجـــــــل : إنني أصارع النوم، والنوم يصارعني. وبقدرة الله سأخرج من هذا الكابوس المزعج..

المـــــــرأة : (تدفعه) يكفي صراخاً أيها الملعون. يكفي. وانتبه الى المنبه..

الرجـــــــل : آه. المنبه.. (و هو يمسك الساعة) تريدين أن تقولي بأنني لست نائماً ..

المـــــــرأة : رجل ذكي وألمعي. فهمتها وحدك..

الرجـــــــل : (يوقف جرس المنبه) سبحان الله ! يفعل في عباده ما يشاء. هذا البيت ..هذا .. ليس بيتي؟

المـــــــرأة : نعم ليس بيتك..

الرجـــــــل : سبحان الله ! يفعل في عباده ما يريد .. وأنت لست محجوبة زوجتي، أليس كذلك؟

المـــــــرأة : أنا زوجتك .. زوجتك أنت؟ «يشويني فيك». ثم.. من أنت ؟

الرجـــــــل : من أنا؟

المـــــــرأة : وماذا تفعل في سريري وفي فراشي وفي بيتي وفي عالمي ؟

الرجـــــــل : وأنت ؟ من أنت ؟ وماذا تفعلين في فراش رجل غريب ، رجل لا تعرفين أصله وفصله، ولا تعرفين اسمه الشخصي ولا اسمه العائلي ولا اسمه العرقي والسلالي والقبلي، ولا حتى هو يعرف نفسه .. هذا استهتار وتلاعب بالقيم والأخلاق و..

المـــــــرأة : «يشويني فيك» أنت تتحدث عن الأخلاق، وأنت تعترف بأنك لقيط وعبيط . يشويني فيك، مرة أخرى، وأتمنى أن تكون الأخيرة، أسألك الأسئلة نفسها وأقول لك، من أنت؟ ومن أين جئت؟ و.. لماذا أنت معي ؟ تكلم ، قل شيئاً..

الرجـــــــل : يا سيدتي التي تشبه زوجتي محجوبة. مرة أخرى، وأتمنى أن تكون الأخيرة، أسألك الأسئلة نفسهاوأقول لك .. من أنت؟ ومن أين جئت؟ و.. لماذا أنت معي؟ تكلمي. ولا تكذبي. وقولي شيئاً يفهم..

المـــــــرأة : لا ..لا .. هذا كثير.. ألم تلاحظ شيئاً أيها الرجل الذي يشبه زوجي المحجوب؟

الرجـــــــل : وأنت. ماذا لاحظت؟

المـــــــرأة : يظهر لي أيها الرجل ، وقد أكون مخطئة قليلاً، بأنك تسرق كلامي..

الرجـــــــل : أنا ؟

المـــــــرأة : وتقول قولي نفسه ..

الرجـــــــل : «يشويني فيك» (يضحكان) هذا الكلام أيتها المتكلمة. ليس كلامك أنت..

المـــــــرأة : ليس كلامي؟!

الرجـــــــل : نعم. ولا هو كلامي. أنا أيضاً. إنه كلام السيد المؤلف..

المـــــــرأة : المؤلف؟ ونحن.. أنا وأنت. من نكون؟

الرجـــــــل : أظن، والله أعلم، أننا شخصيتان مسرحيتان، وأن هذه البداية هي بداية الخليقة..

المـــــــرأة : ألا ترى معي أيها الرجل بأن مؤلفك هذا مغفل؟

الرجـــــــل : نعم. هو مغفل قليلاً..

المـــــــرأة : قليلاً ؟ ولم لا تقول كثيراً .. أنت خواف وجبان .. لقد بدأ المسرحية من الفراش وهذا شيء غير واقعي..

الرجـــــــل : تماماً غير واقعي وغير طبيعي وغير مسرحي وغير أخلاقي..

المـــــــرأة : لقد جمع بين امرأة شريفة ونبيلة ورجل أفاق وهذا شيء لا يمكن أن أسامحه عليه..

الرجـــــــل : وأنا أيضاً لا يمكن أن أسامحه على هذا.. لم تخبريني، من فينا الرجل ومن فينا المرأة ؟

المـــــــرأة : أنت الرجل طبعاً..

الرجـــــــل : متأكدة ؟

المـــــــرأة : وأنا المرأة.. أنا المعتدى عليها في عقر فراشها.. أنا (المسكينة) أنا «المظليمة». أنا اللي باعوني ،، أنا اللي .. (تغني)

الرجـــــــل : يا سيدتي اللي باعوها هذا المسرح مسرح آخر. وفيه اختلط كل شيء. والتبس كل شيء. وأصبح الرجل يقوم بدور المرأة، والمرأة تقوم بدور الرجل ، وعليه، فإنني أسألك، وفي قلبي شك كبير، هل أنت فعلاً امرأة، وهل أنا فعلاً رجل ؟

المـــــــرأة : سؤال بليد وعبيط ومتخلف وملغوم..

الرجـــــــل : نعم. ولكنه سؤال حقيقي. وحق لا إله إلا الله هو سؤال حقيقي. المرأة ليست دوراً من الأدوار والرجل أيضاً..

المــــــــرأة : كلام لا يعنيني ، والشيء الذي لا يعنيني لا أسمعه.. آه لو كنت على الأقل أعرف من أنا..

الرجـــــــل : سيأتي في يوم من الأيام، من يقول لك من أنت..

المــــــــرأة : وليته يأتي بسرعة. يأتي قبل أن يرتد إلي طرفي..

الرجـــــــل : ستعرفين كل شيء، ومن بعد ستقولين، يا ليتني ما عرفت. الجهل نعمة أحياناً يا امرأة..

المــــــــرأة : أحياناً نعم، ولكن ليس في كل الأحيان..

الرجـــــــل : وسيقول لك أيضاً، ماذا تفعلين في فراشي وفي غرفتي، وعلى هذه المعرفة يتوقف السؤال الذي يؤرقني ويعذبني ..

المــــــــرأة : وهذا السؤال الخطير (تقولها باستهزاء) هل يمكن أن أعرفه؟

الرجـــــــل : من حقك أن تعرفيه لأنه يخصك، فأنا لا أنقطع عن سؤال نفسي، هذه المرأة يعني أنت هل أحترمها أم لا أحترمها.؟

المــــــــرأة : يا أخي احترمني ولن تخسر شيئاً..

الرجـــــــل : إن كنت (مولاة الدار) فلك الاحترام والتبجيل و.. الخوف أيضاً..

المــــــــرأة : وإن لم أكن؟

الرجـــــــل : فأنت معتدية وغازية وابنة شوارع وابنة ليل.. البقية أكمليها من عندك..

المــــــــرأة : «يشويني فيك». فأنت السفيه الذي لا ينطق إلا بما فيه..

الرجـــــــل : الله أكبر. الحرب على الأبواب..

المــــــــرأة : تأكد أيها الأفاق بأن هذا البيت بيتي أنا، أما أنت، فما أنت إلا سارق وقاطع طريق ومزيف..

الرجـــــــل : أنا سارق؟ أنا ؟ وهذا الوجه الملائكي هل يعقل أن يكون وجه قاطع طريق ؟

المــــــــرأة : نعم.. أنت سارق. وقد تسللت من شباك البيت ودخلت..

الرجـــــــل : وأين هو شباك هذا البيت ؟ أين ؟

المــــــــرأة : وما يدريني؟ قد تكون أيها الملعون كسرت باب البيت ودخلت.. أخرج من بيتي بسرعة. أخرج قبل أن أنادي على الخدم..

الرجـــــــل : سبحان الله ..؟ لك خدم يا (بنت الحازقين) ؟

المـــــــرأة : أتمنى ذلك..

الرجـــــــل : آه تتمنى.. وهذا لا يكفي.. وحق لا إله إلا الله لا يكفي..

المـــــــرأة : سألقي بك خارج البيت..

الرجـــــــل : سأقاوم.. هل سمعت؟ ولن تمري إلا على جثتي..

المـــــــرأة : من الأحسن أن ترفع الراية البيضاء ، وأن تستسلم..

الرجـــــــل : أبداً..سأقاوم حتى آخر وسادة..(يتراشقان بالوسائد..يتطاير الريش في الفضاء .. يسمع صوت فرقعات ورشاشات)

المـــــــرأة : أخرج حياً.. فهذا أحسن لك..

الرجـــــــل : وحق لا إله إلا الله لن أخرج. فهذا البيت بيتي والسرير سريري..

(تهز المرأة السرير بعنف، فينقسم قسمين، و يظهر رجل وهو يباعد بينهما)

2 - كانوا اثنين .. ثم أصبحوا ثلاثة ..

(يرتدي الرجل زياً رسمياً أسود اللون.. يخفي يديه في قفازات بيضاء، ويخفي عينيه خلف نظارات سوداء .. بإشارة من يديه، يدعو الرجل والمرأة إلى التزام الهدوء)

المـــــــرأة : وهذا الرجل.. من أين خرج ؟

الرجـــــــل : لست أدري..

المـــــــرأة : من قبل. كنا اثنين.. ثم من بعد أصبحنا ثلاثة.. فكيف حصل هذا؟ ولماذا؟

الرجـــــــل : لماذا ؟ الأمر سهل. فحتى يستقيم الحساب لابد من ثلاثة..

المـــــــرأة : هل رأيت ؟ إنه رجل أيها الغريب..

الرجـــــــل : وما يدريك ؟ قد يكون امرأة متنكرة..

المـــــــرأة : نعم . وما هو الحل في نظرك ؟

الرجـــــــل : نقوم بالكشف عنه ..

المـــــــرأة : «يشويني فيك «. قلت لك هو رجل هو رجل، ألا تفهم ؟ ولابد أنك تعرفه

الرجـــــــل : قد يكون رجلاً، ومع ذلك فإنني لا أعرفه. واسألي نفسك، ألا يكون ابن الجيران الوسيم؟

المـــــــرأة : آه. ما معنى هذا الكلام أيها الخبيث؟

الرجـــــــل : معناه.. ها ها .. معناه هو معناه. ولست مسؤولاً إن كنت لا تعلمين ولا تدركين..

الآخـــــــر : يكفي .. يكفي، من حق المحاربين أن يستريحوا قليلاً..أقدم لكما نفسي، أنا خادم الجمال والسحر الفتان..

الرجـــــــل : الجمال؟ ومن أين يأتيها الجمال؟ تشتريه أو تكتريه أو تستعيره من جارتها أم الخير؟

الآخـــــــر : واسمحي لي سيدتي أن أكون خادمك ؟

المـــــــرأة : لقد أنعمت عليك، وعينتك خادماً متجولاً .. (للرجل الأول) هل رأيت يا غليظ الرأس كيف تكون الرجولة الحقيقية؟ (للآخر) أهلاً ومرحباً بالسيد الخادم في بيتي ..

الرجـــــــل : سيد وخادم؟ ماذا أقول لكما، وحق لا إله إلا الله لم أعد أفهم شيئاً..

الآخـــــــــر : أنا الثالث يا سيدتي الفاضلة. واسمحي لي أن (أبوس) يدك الكريمة

المــــــــــرأة : ولأنك رجل جنتلمان فقد منحناك حق (البوس) بلا فلوس.. خذ..

(تمد له يدها ليقبلها)

الرجـــــــل : مدي إليه اليد الأخرى ليبوسها..

المــــــــــرأة : سبحان الله. هذا رجل وذاك رجل ولكنهما مختلفان في كل شيء . حقاً أنت ولدتك امرأة حقيقية، أما هذا البغل فلا، وأظن أن التي ولدته بغلة .. بغلة بنت بغلة. ورغم أنهم يزعمون بأن البغلة لا تلد، فإنني أقول إنها تلد، والحجة على هذا هو أنت..

الآخـــــــــر : يا سيدتي الفاضلة .. أنا بينكما هو المخلوق الثالث، أنا لست أنت، ولا أنت، وإنما أنا هو..

المــــــــــرأة : ولماذا تكون الثالث ولا تكون الثاني؟ من بعدي طبعاً ..

الآخـــــــــر : ماذا أقول لك؟ هكذا أراد السيد المؤلف؛ أن يكون الترتيب حسب الظهور على الخشبة. وقد ظهر هذا المخلوق قبلي..أما الأولى، بدون منازع ولا منافس، فما هي إلا أنت.. ومن كانت في مثل مقامك وجمالك، وفي مثل جلالة قدرك، وفي نبلك وشرفك، فإنها لا يمكن أن تكون إلا الأولى..

المــــــــــرأة : آه ما أجمل هذا الكلام أيها الشاعر..

الآخـــــــــر : لست شاعراً .. لسوء حظي.. أنا الثالث فقط، وهذا الرجل المحظوظ هو الثاني..

المــــــــــرأة : لماذا تنظر إلي هكذا؟. تعلم كيف يكون الكلام الجميل. تعلم يا رأس الغول..

الآخـــــــــر : هل تتصورين أيتها العزيزة مجرد تصور أن يكون هو الثاني وأكون أنا الثالث؟

المـــــــــرأة : ماذا أقول لك أيها المظلوم ؟ هذه واحدة من أخطاء هذا الزمن اللعين اصبر قليلاً. اصبر. وغدا سوف تتبدل الأرض..

الآخــــــــر : لقد سبقني إليك، وفاز بك وحده، وخسرتك أنا، وها أنني في العراء والخلاء؛ بلا بيت ولا أهل وبلا عنوان..

المـــــــــرأة : مسيكين ..

الآخــــــــر : ولكن لا. وحق الله لن أيأس ولن استسلم. وستأتي ساعتي يوماً، وأرفع رأسي عالياً في السماء، وأعيد ترتيب هذا البيت. وأخرجه من هذه الفوضى..

المـــــــــرأة : هل رأيت أيها الرجل الطيب؟ لقد حول كل شيء إلى خراب ودمار، وكل هذا فعله وحده..

الآخــــــــر : لاتقلقي يا سيدتي الفاضلة، وما هذه إلا حرب صغيرة وعادي، ويمكن أن يقع مثلها في أرقى البيوت..

المـــــــــرأة : هذه حرب؟

الآخــــــــر : ويسميها البعض حرب الوسائد، وهي أقل خطراً من حرب النجوم..

الرجـــــــل : أتريد أن تقول إن هذه المرأة زوجتي؟

الآخــــــــر : مع الأسف. نعم..

الرجـــــــل : ها ها. أنا متزوج ؟! وممن؟ من هذه المخلوقة العجيبة؟ لاشك أنك تمزح أيها البهلوان..

الآخــــــــر : صدقني، أنت متزوج فعلاًز، ولدي الدليل والبرهان..

الرجـــــــل : ها ها .. لديه البرهان. إذن هات برهانك إن كنت من الصادقين. وبسرعة..

الآخــــــــر : تريد أن تعرف؟ إذن أدخل يديك في جيبيك وفتش جيداً. فتش وقل، هل وجدت شيئاً من متاع الدنيا؟

الرجـــــــل : يا ويل أمي .. لاشيء في جيوبي ولا حتى.. فلس أحمر..

الآخــــــــر : وبهذا يعرف المتزوجون يا ولد الناس، وإن كان في نفسك شك، فاسأل السادة الحضور، لقد صدق الذين قالوا، اسأل المجرب، ولا تسأل الطبيب..

الرجـــــــل : (وهو يفتش جيوب ملابس معلقة) لاشيء .. وحتى هذا المعطف لاشيء فيه..

الآخـــــــر : قدر المتزوجين يا صاحبي اللدود هو هذا، أن تتعرض جيوبهم كل صباح وكل مساء للغارات وللتمشيط وللتنظيف؛ بالماء والشطابة وبالجفاف..

الرجـــــل : هكذا إذن، تسرقين مالي أيتها اللصة المحترفة والمنحرفة؟

المـــــرأة : أمواله؟ ها ها ومن أين تأتيك الأموال، وأنت والفقر توأمان ملتصقان؟ أنت لا تملك إلا حياءك القليل، ولسانك الطويل.. أنت أفقر من الفقير، وأحقر من الحقير، وأرخص من الرخيص..

الآخـــــــر : الله الله .. حقاً، شتائم الحبيب أحلى من الزبيب. أنت أيها الأعمى لا تعرف النعمة التي أنت فيها .. أنت سلطان زمانك؛ متوج بلا تاج، ولكنك لا تدري..

الرجـــــل : إن كانت هذه المرأة زوجتي فعلاً فإنني أحتج..

الآخـــــــر : وأنا أيضا أحتج .. وأحتج بعنف وقوة..

المـــــرأة : وحتى أنا أحتج، وأدين، وأشجب، وأرفض، وأستنكر هذا الوضع الغريب والشاذ واللاإنساني واللاطبيعي واللامنطقي واللاواقعي واللاأخلاقي..

الآخـــــــر : كان من الممكن أن يكون الزوج هو أنا ..

الرجـــــل : .. وليتك كنت..

المـــــرأة : ولكن إرادة المؤلف لم تسعفك، ولم تسعفني، وهي إرادة ظالمة وغاشمة ومستبدة ومتسلطة..

الآخـــــــر : .. دعيني أكمل أنا..

المـــــرأة : أكمل ..

الآخـــــــر : .. وهي أيضاً، إرادة قاهرة وحمقاء وبلهاء وعرجاء وعوراء ومتعسفة على قلوب العذارى ..

الرجـــــل : يا رب العالمين .. شكونا لك الفيلة، فزدتنا هذا الفيل..

الآخـــــــر : اسمعي يا سيدتي محجوبة..

المـــــرأة : اسمي محجوبة ؟

الآخـــــــر : نعم، وأنت وزوجك المحجوب هذا، متزوجان زواجاً مسرحياً. وفي المسرح لاشيء ثابت، ولاشيء دائم إلا الأدوار. فأنتما فعلاً زوجان ولكن.. في هذه اللحظة فقط، هل فهمت؟

المـــــــرأة : آه. ماذا أقول لك؟ تقريباً..

المحجـــوب : (يصبح اسمه المحجوب من الآن) وما معنى .. في هذه اللحظة فقط ؟

الآخـــــــر : معناها أن المسرحية لا تزال طويلة، وقد تنقلب الأدوار في أية لحظة..

المحجـــوب : وليتها تنقلب. وبأقصى سرعة ممكنة..

الآخـــــــر : .. وأصبح أنا زوجها الثاني، بعد أن تكون أنت قد رحلت، وأصبحت من سكان القبور، وتكون مواطناً آخروياً..

المحجـــوب : ها ها .. ومن قال لك بأنني أنوي أن أموت ؟

محجـــوبة : (يصبح اسمها محجوبة من الآن) آه .. ليت هذا يحصل قريباً؛ بكاء ساعة ولا بكاء كل يوم..

المحجـــوب : لعنة الله عليك أيتها الخائنة، أتقولين هذا في وجهي، وفي حضور هذا المخلوق الغريب؟

الآخـــــــر : لم تفهماني. أنت المرأة. اتفقنا؟ وأنت الرجل، أليس كذلك؟ وأنا الآخر بينكما. في هذا الآن، ليس لي أي دور. ولكن من حقي أن ألعب كل الأدوار..

المحجـــوب : آه .. الآن فقط عرفت من تكون..

الآخـــــــر : عرفت ؟ هنيئاً لك..

المحجـــوب : أنت الشيطان الرجيم..

الآخـــــــر : خطأ.. (يضحك بخبث)

المحجـــوب : أنت إبليس (النحيس)..

الآخـــــــر : مازلت لا تعرف شيئاً..

محجـــوبة : المحجوب .. (دير عقلك شوية)

المحجـــوب : ألا تعرفين أيتها السيدة الفاضلة مؤقتاً أنه ما اجتمع رجل وامرأة يعني أنا وأنت إلا وكان الشيطان ثالثهما ؟

محجـــوبة : لا أصدق .. أنت تخرف..

المحجـــوب : هو الشيطان قلت لك، ألا تفهمين يا امرأة؟

محجـــوبة : الله يستر.. الرجل أصابه شيء..

المحجـــوب : أنت امرأة حمقاء وبلهاء، وسيدفع بك هذا الساقط إلى السقوط ..(يضحك الآخر ضحكاً غريباً)

الآخـــــــر : يا سيدي .. يمكنني أن أكون الشيطان، ولكن ليس دائماً، إنني الثالث .. أنا الآخر افهماني جيداً وسألقاكما في أدوار كثيرة، وفي مواقف متعددة .. مثلاً .. يمكن أن أكون الزوج الثاني..

محجـــــوبة : الزوج الثاني؟ أنت؟ ومتى يكون ذلك؟ متى؟

الآخـــــــر : متى؟ بعد أن تصبحي أرملة شابة وجميلة وغنية ..

المحجـــــوب : وحق لاإآله إلا الله لن أرملها لك، هل سمعت أيها الشيطان البهلوان؟

الآخـــــــر : ليس الأمر بيدك ولا بيدي ولا بيد أحد، وما نحن سوى شخصيات في مسرحية، والمطلوب منك ومني ومنها أيضاً أن نؤدي أدوارنا بإتقان، وأن ننسحب في صمت. هل فهمت؟

المحجـــــوب : صدقني إذا قلت لك، إن أجمل كل الأدوار التي تليق بك، هو دور القتيل..

محجـــــوبة : إنهما يتخاصمان من أجلي أنا .. وإذا تطور الخلاف إلى الضرب بالسكاكين والخناجر، فإنه لابد أن أكلم البوليس.. آه. لو كنت على الأقل أستطيع أن أرى وجهي ..

المحجـــــوب : ليس في وجهك ما يغري بالرؤية ..

الآخـــــــر : لا تصدقيه .. فأنت أجمل الحسان في كل زمان ومكان..

محجـــــوبة : (لنفسها) أجمل الحسان؟ أليس في هذا البيت مرآة أيها الرجل الجنتلمان ؟

الآخـــــــر : فيه مرايا. بعدد الرمل والحصى وسوف ترين وجهك من كل الزوايا..

محجـــــوبة : آه. لاشيء الآن يعادل لهفتي على المرآة.. نعم .. لاشيء ..

الآخـــــــر : هل تعرفين أيتها الفاتنة الساحرة أن السيد المؤلف عندما أوجدك اسماً ورسماً فقد أوجد معك هذه المرآة..(يخرج مرآة من مكان ما بطريقة سحرية)

محجـــــوبة : يا الله .. إنه فعلاً مؤلف ذكي وفنان، وقد فكر في كل شيء .. اعطني مرآتي من فضلك..

الآخـــــــر : لا .. ليس الآن يا سيدتي الساحرة..

محجـــــوبة : ليس الآن؟ ومتى أيها المحترم؟ متى؟

الآخـــــــر : بعد أن تغسلي وجهك؛ بماء الورد وماء الزهر، وبعد أن تأخذي

زينتك كاملة..(يأتيها بالطست والإبريق)

محجـــوبة : آه .. ما أروعك .. أنت أيضاً تفكر في كل شيء.. مثل السيد المؤلف ..

الآخـــــــر : اغسلي وجهك.. اغسليه جيداً ، وتطهري بالماء البارد، إنه لابد من عبور المطهر للوصول إلى الجنة..

المحجـــوب : آه .. وقد لا تكون الجنة فعلاً. افهميني. قد تكون جحيماً مموهاً، وأنت لا تدرين..

الآخـــــــر : لا تصدقيه .. إنه زوج أحمق .. اهتمي بجمالك وحده، فهو الحقيقة كل الحقيقة في زمن لا حقيقة فيه.. خذي .. (يعطيها منشفة) امسحي الآن وجهك، ثم اذهبي إلى الدولاب.. ستجدين فيه كل ما تعشقين من أنواع الأزياء والحلي والعطور .. غيري ملابسك وشعرك وأظافرك وكل شيء فيك..

محجـــوبة : والمرآة يا سيدي؟

الآخـــــــر : إنها في انتظارك .. رافقتك السلامة.. (تخرج محجوبة وهي تختال في مشيتها)

3 - تاجر من هذا الكوكب ..

المحجـــوب : أريد أن أعرف، من أعطاك الحق لتوجه حياتي كما تشاء؟

الآخـــــر : هي حياة واحدة يا صاحبي، ونحن جميعاً نقتسمها ..

المحجـــوب : لا أظن، وهذا البيت، أليس بيتي؟

الآخـــــر : هو بيتك، نعم، ولكن..

المحجـــوب : ولكن.. ولكن ماذا؟

الآخـــــر : ليس بيتك وحدك .. لا تنس تلك المرأة الفاضلة، فهي شريكتك في كل شيء، في البيت والسرير، وفي الأرض والسماء، وفي هذا الآن، وفي ذلك الذي كان..

المحجـــوب : آه .. وتلك المرأة الفاضلة جداً هي زوجة من، يا سيدي العالم؟

الآخـــــر : إنها زوجتك طبعاً.. زوجتك وحدك.. ما أسعدك بعروسك أيها العريس..

المحجـــوب : وأنت.. أنت.. ألا تقول لي من تكون؟

الآخـــــر : أنا؟ سبحان الله، ألا تعرفني؟ أنا تاجر من هذا الكوكب الضيق.. تاجر صغير وفقير وحقير.. نعم، أنا مجرد تاجر متجول في أرض الله الواسعة. هل تصدق هذا؟ لقد أوقفت حياتي على خدمة الناس الطيبين والشرفاء والنبلاء من أمثالك..

المحجـــوب : أنا لست طيباً.. هل سمعت ؟

الآخـــــر : لا أصدق..

المحجـــوب : خصوصاً مع الثقلاء والغزاة أمثالك..

الآخـــــر : سامحه يا من خلقته، إنني أطوف الأبواب المغلقة وأطرقها؛ باباً بعد باب، وأعرض السلع المهربة على الزبائن .. انظر .. (يلتفت حوله في خوف) لدي كل ما تريد ..(يأتي بحقيبة ويفتحها، ويخرج منها أشياء كثيرة)

المحجـــوب : أنا لا أريد أي شيء..

الآخـــــر : غير ممكن، ولا حتى انصرافي؟

المحجـــوب : لا .. هذا أعطي فيه نصف عمري أو أكثر قليلاً..

الآخـــــــر : ما أفظعك أيها الخبيث .. انظر.. هذه ربطة عنق حريرية..

المحجـــوب : لا أريدها..

الآخـــــــر : ولكن هي .. ألم تفكر فيها؟ إنها تعشقك، ولا ترضى بغيرك لابساً ومرتدياً صدقني إنها تليق ببذلتك الزرقاء..

المحجـــوب : ليس لدي بذلة زرقاء..

الآخـــــــر : إذن فهي تليق ببذلتك الصفراء.. (يقرب منه ربطة عنق كبيرة جداً)

المحجـــوب : أبعدها عني .. إنها ربطة، ألا تفهم؟ وفوق ذلك، هي ربطة في العنق .. هنا .. إنها مشنقة مثلك، وأعوذ بالله منكما، وممن كان يشبهكما..

الآخـــــــر : وهذا الطربوش الأحمر، ما رأيك فيه؟

المحجـــوب : ليس لدي رأي فيه..

الآخـــــــر : إنه طربوش وطني .. ألا ترى يا أعمى؟ خذه وقبله، وإلا أصبحت خائناً لوطنك، وجاحداً ومتنكراً لرمز من رموز بلدك..

المحجـــوب : يا رب العالمين .. ما أفظع هذا الرجل ..

الآخـــــــر : سيدي المحجوب صدقني، إن هذا الطربوش الوطني يمكن أن ينفعك، تماماً كما نفع كثيرين قبلك، ففيه لو تدري من المزايا والفوائد ما لا يعد ولا يحصى..

المحجـــوب : يا سيدي .. انتفع وحدك، وفز بالفوائد وحدك..

الآخـــــــر : وحدي؟ لا أقدر. وحق الله لا أقدر، هكذا هو أنا يا صاحبي، وهذه هي أخلاقي..

المحجـــوب : (بسخرية) ها ها .. أخلاقك ؟ وأين هي أخلاقك يا أبا الأخلاق؟ أين هي؟

الآخـــــــر : ألم تسمع الناس في الأمثال والحكم يقولون إن الطربوش الأحمر يمكن أن ينفع في اليوم الأسود ..

المحجـــوب : واليوم الأسود هو هذا اليوم.. أليس كذلك ؟

الآخـــــــر : آه .. تقريباً .. يا سبحان الله .. الرجل بدأ يفهم.. إذاً ماذا تنتظر؟ خذ الطربوش ولا ترده، إنه على مقاس دماغك تماماً، خذه.. هدية مني، إكراماً لكرمك، وثمناً للقهوة التي لم تشربها في بيتك..

المحجـــوب : لن آخذه .. هل سمعت؟ ولا تسألني لماذا.. (يلقي بالطربوش جانباً)

الآخـــــر : آه .. حظي اليوم سيئ، وقد أسقطني على زبون صعب وابن كلب. حقاً، إن التجارة الرابحة لا تكون إلا مع النساء، أما الرجال فجنس عفاريت..

المحجـــوب : الصباح لله. الباب يا سيدي من هنا..

الآخـــــر : أعرفه .. فمنه دخلت ..

المحجـــوب : وماذا تنتظر لكي تتفضل حضرتك بالخروج منه؟

الآخـــــر : يا سبحان الله .. ألا تعرف، بأن دخول الحمام ليس كالخروج منه؟

المحجـــوب : وهذا ليس حماماً، ولكنه بيت..بيتي أنا ..

الآخـــــر : نعم، وإنه لبيت مريح .. لقد أتعبني المشي يا صديقي، ومن حقي أن أرتاح قليلاً.. (يستلقي على الفراش)

المحجـــوب : ذلك فراشي أيها الملعون .. فابتعد عنه..

الآخـــــر : أعرف.. إنه فراشك، ولكنني لا أقدر أن أبتعد عنه..

المحجـــوب : أنا لابد سأقتلك هذا اليوم..

الآخـــــر : وأنا لا يمكن أن أموت لك هذا اليوم ..

المحجـــوب : سأدمر كرامتك أيها التاجر..

الآخـــــر : كرامتي؟ بعتها في سوق الخردة، وبثمنها اشتريت تنفيحة.. يا الله. ما أحقر كرامة لا تساوي أكثر من عطستين..

المحجـــوب : بحق الله .. ابتعد عني، ودعني لهمي، فورائي اليوم كثير من الأشغال..

الآخـــــر : لاشيء وراءك، ولاشيء قدامك، وما الحياة إلا تمثيل في تمثيل. وأنا هنا أمثل كل شركات الإنتاج، هل لديك مانع؟

المحجـــوب : لدي مليون مانع..(تنبعث موسيقا من الحاكي القديم، معلنة عن ظهور شخصية مهمة)

الآخـــــر : هس.. الزم الصمت ولا تقل شيئاً.. (تدخل محجوبة وهي في كامل أناقتها.. تمشي على وقع الموسيقا، متبوعة ببقعة ضوء متحركة .. تمشي بنخوة ودلال وهي ترتدي زياً «فنطازياً» يحاكي الطاووس.. تمسك بيدهامروحة من ريش النعام)

المحجـــوب : هذه امرأة .. من أين خرجت، ومن عساها تكون؟

الآخــــــر : يا سبحان الله .. ألا تعرفها؟

المحجـــوب : يا رب العالمين. كأنني رأيتها من قبل. فهذا الوجه ليس غريباً علي..

الآخــــــر : إنها السيدة زوجتك .. للا محجوبة..

المحجـــوب : غير ممكن..

الآخــــــر : تقدم منها.. بأدب واحترام، وقبل يدها. مدي إليه أنت يدك.. (يهمس له في أذنه) تمسكن أيها العفريت حتى تتمكن..

المحجـــوب : يا الله. حقاً، لقد قالها الأولون ولم يخطئوا..

الآخــــــر : ماذا قالوا؟

المحجـــوب : (وهو يتأمل المرأة في استغراب شديد) تفعل الحمقاء بنفسها أسوأ مما يفعل العدو بعدوه..

محجـــوبة : يشويني فيك. هكذا ستبقى دائماً؛ جاهلاً ومتخلفاً.. هذه أنا أيها الأعمى .. أنا..

المحجـــوب : أنت ؟ من أنت ؟

محجـــوبة : من أنت؟ الله يجيبك على خير .. (وهي تتأمل نفسها في مرآتها) أما هذا الزي العجيب والغريب فهو زيي أنا، وهو زي الأميرات الساحرات والفاتنات..

المحجـــوب : الأميرات، نعم، ولكن، في أي عصر أيتها الحمقاء؟

الآخــــــر : لا تنتبهي لكلامه يا سيدتي. حقاً ، إن عصر هذا الزي قد مضى، ولكن هذا لا يهم..

المحجـــوب : لا.. لا، بل يهم يا صديقي اللدود، ويهم كثيراً كثيراً. هل تريد أن تعرف لماذا؟ لأن أصحاب هذه الملابس الحقيقيين قد ماتوا، وشبعوا موتاً..

محجـــوبة : (مذعورة) ماتوا؟ هل سمعت (للآخر)؟

الآخــــــر : اهتمي بنفسك وجمالك، ولا تلتفتي لكلامه.. فأنت الآن محور كل الأزمان، وأنت عاصمة الجمال في كل مكان ..

محجـــوبة : أنا؟

الآخــــــر : نعم أنت، وقد تجمع فيك ما تفرق في كل نساء الكون ..

المحجـــوب : ها ها .. كلام مجانين.. اسمعي ما أقول لك، أهل هذا اللباس

الكرنفالي يا مدام ليسوا من هذه الأرض، ولا من هذه الدنيا، ولا من هذا الزمان ..

محجـــوبة : لن أرد عليك، ويكفي أن أقول لك، يشويني فيك..

المحجـــوب : إن هذا التاجر الفاجر يضحك عليك، ألا تفهمين؟ وما هذا اللباس إلا من سوق (الجوطية) وفيه كثير من رائحة الموتى ومن رائحة المقابر ..

محجـــوبة : (باشمئزاز) الجوطية؟ ألا ما أغباك، وما أتفهك أيها الرجل، ألا تعرف غير هذه اللغة الساقطة والمتدنية والرخيصة؟

المحجـــوب : إنها لغتي يامدام..

محجـــوبة : أعرف.. أعرف..

المحجـــوب : وليس لي غيرها..

الآخـــــر : يمكنني أن أعلمك غيرها .. مجاناً، ودون مقابل ..

محجـــوبة : لغتك أيها الرجل الغريب، هي لغة هذا الوقت المتخلف، وهي لغة الدهماء والفقراء والأوباش، ولغة السواد الأعظم من الناس، فهل أنت منهم؟

المحجـــوب : أنا منهم يا مدام وهم مني.. ماذا أقول لك، ما أتعس الإنسان وأشقاه عندما تكون ملابسه أغلى منه وأرفع منه، فتكون السيدة والمولى، ويكون هو التابع والخادم ..

محجـــوبة : (وهي تتأمل نفسها في المرآة) يا الله.. ما أجملني.. لا أظن امرأة قبلي لبست مثل هذا اللباس ..

المحجـــوب : (كأنه يكلم نفسه) ما أسعد الإنسان عندما يكون أشرف وأنبه وأغنى من ملابسه، تكون قيمته أكبر من كل الأشياء، وتكون أخطر من كل المقتنيات..

الآخـــــر : لم تخبريني بعد أن لبست أثوابي وتزينت كيف وجدت نفسك؟

محجـــوبة : أجمل وأحلى وأبهى من القمر عند اكتماله..

الآخـــــر : أصبح من حقك الآن يا سيدتي أن تقارني نفسك بهذا المخلوق..

محجـــوبة : أي مخلوق؟ (وهي تنظر حولها) إنني لا أرى أحداً على الأرض..

الآخـــــــر : ماذا تقولين؟ هل نسيت السيد زوجك؟ ذلك الكائن الغريب الذي يسمى المحجوب..

محجـــوبة : آه.. حرام عليك، ذكرتني فيه، وقد كنت نسيته تماماً.. أما زال على قيد المسرحية؟

الآخـــــــر : قارني نفسك به وأخبريني ، كيف وجدت الفرق بينكما؟

محجـــوبة : أوه. وجدته مهولاً وخرافياً وفظيعاً وظالماً.. الآن فقط تذكرت شيئاً مؤلماً..

الآخـــــــر : ماذا تذكرت؟

محجـــوبة : أنني لم أتزوج هذا الرجل بمحض اختياري وإرادتي..

الآخـــــــر : كنت أعرف هذا، وكل شيء واضح..

محجـــوبة : وحق الله. لقد زوجوني منه غصباً عني.. لقد هددوا أبي ، وضايقوه في تجارته، وفي أمواله..

المحجـــوب : عجباً. أبوك يا ابنة (الحازقين) كانت له أموال وتجارة؟

محجـــوبة : .. وهددوا أمي أيضاً ..

المحجـــوب : حتى أمك؟

محجـــوبة : وأقلقوا راحتها، وخلقوا لنا المتاعب الكبرى وكل هذا من أجل ماذا؟ من أجل أن أرضى بهذا ال.. محجوب زوجاً وبعلاً..

الآخـــــــر : حقاً، هي تضحية كبرى وخطيرة..

محجـــوبة : هي أكبر من تضحية، هي انتحار يا سيدي ..

الآخـــــــر : فعلاً، هي انتحار ..

محجـــوبة : في تلك الأيام، كنت في عمر الورد. كان معي أربعة عشر ربيعاً، أما هو فكان عمره يزيد على الستين خريفاً..

المحجـــوب : لم تخبرينا يا مدام من علمك فنون الكذب، من ؟ ومتى؟

الآخـــــــر : كل شيء يمكن أن تتعلمه المرأة، إلا هذا، وفي مجال الكذب في العمر، فإنها لا تحتاج إلى معلم .. لا تنس هذا أبداً..

المحجـــوب : أنا أول مرة أراك فيها، أراك في هذا العمر؛ شمطاء رقطاء عوجاء (قرشاء) حولاء ..

محجـــوبة : يشويني فيك.. هل رأيت يا سيدي؟ (للآخر) إنه يشتمني..

الآخـــــــر : لا تنتبهي له، ودعيه يموت بسمه، إنها الغيرة، والغيرة قاتلة، وهي تفعل أكثر من هذا..

المحجـــوب : هذا كثير.. كثير جداً .. هو وضع غريب حقاً وشاذ وغير مفهوم، وعليه، فإنه لا يمكن أن يستمر طويلاً.. لماذا؟ أقول لكما لماذا، لأنه مخالف للعقل والمنطق، ومخالف للأخلاق؛ زوج عاقل وحكيم، والذي هو أنا، وامرأة حمقاء وبلهاء وهي أنت..

محجــــوبة : آويلي .. أنا ؟

المحجـــوب : ورجل رمادي وشبحي وهلامي ودخاني وزجاجي وفضولي، وهو هذا الرجل الحربائي..

الآخــــــر : إنه يتكلم عني، ويذكرني بكل خير..الله يكثر خيرك ..

المحجـــوب : إن الأمر يتطلب أن أقوم بثورة تصحيحية، وسأفعل ذلك بعون الله، ولقد آن الأوان، لكي آخذ زمام السلطة بيد من حديد، وأن أصبح الحاكم الأوحد والأسعد في هذا البيت، وفي كل هذه البلاد. وفي ذلك الوقت يا مدام محجوبة قولي لملابس الخردة أن تنفعك، وقولي لهذا الشبح أن يفعل شيئاً من أجلك..أودعكما الآن، وإلى لقاء قريب..

محجــــوبة : إلى أين يا.. يا.. ؟ (يخرج المحجوب وهو في حالة غضب)

الآخــــــر : إلى أين؟ إلى جهنم وبئس المصير..

محجــــوبة : ماذا قلت لي بخصوص اسمه؟ ذكرني فيه رجاء ..

الآخــــــر : اسمه المحجوب ..(يضحكان)

4 - علمني فنون الغواية والإغراء ..

(محجوبة والآخر، وحدهما بعد أن خرج المحجوب)

محجـــــوبة : الآن، وقد أصبحنا وحدنا، فإنه لابد أن أسألك..

الآخـــــــر : اسألي يا بنت الناس كما تشائين..

محجـــــوبة : إنني أريد أن أعرف، أنت. من أنت؟

الآخـــــــر : من أنا؟ (يضحك ضحكة ماكرة) وهل يفيدك هذا في شيء؟

محجـــــوبة : وأيضاً، أريد أن تخبرني، من أين جئت؟ وكيف جئت؟ ولماذا؟ ومن أجل ماذا؟ أو من أجل من؟ إن كان ذلك من أجل امرأة، فقل لي من هي، وهل هي إنسية أم جنية؟ هل هي من هذه البلاد؟

الآخـــــــر : نعم، هي من هذه البلاد ..

محجـــــوبة : ومن هذا الحي؟

الآخـــــــر : ليس في هذه البلاد إلا هذا الحي ..

محجـــــوبة : ألا تكون من هذا البيت مثلاً ؟

الآخـــــــر : (يضحك ضحكته الماكرة) يا سيدتي الفاضلة، من كل هذا يكفيك أن تعرفي شيئاً واحداً، يمكن أن يغنيك عن كل الأشياء، وهو أنني تاجر..

محجـــــوبة : أنت تاجر ؟ لا أصدق..

الآخـــــــر : والتجارة لقاء بالناس ، الطيبين وغير الطيبين، لقاء في الأماكن العامة، والخاصة أيضاً، وهي أخذ وعطاء، وتبادل ومقايضة وهي مصداقية حيناً.. وغش في أغلب الأحيان ، وقد علمتني هذه التجارة أن أغوص في أوحال النفوس، وأن أعرف الناس، وأن أصبح مع الأيام عالماً وحكيماً وخبيراً ومجرباً..

محجـــــوبة : و.. يا ربي .. (محرجة) ماذا أريد أن أقول؟ اسمح لي على هذا السؤال البليد يا سيدي .. ألا تكون مثلاً شيطاناً من الشياطين؟

الآخـــــــر : أولاً، هذا السؤال ليس بليداً يا سيدتي، ولكنه خبيث..

محجـــــوبة : وثانياً يا .. سيدي؟

الآخـــــــر : وثانياً، أريدك لو تخبريني. هل لديك مانع في أن أكون شيطاناً أو جنياً أو شبحاً ؟

محجـــوبة : في الحقيقة .. لا..

الآخـــــــر : .. أو أن أكون ساحراً أو عرافاً أو دجالاً ؟

محجـــوبة : أبداً .. أبداً يا سيدي ..

الآخـــــــر : أو مشعوذاً أو مزوراً أو مزيفاً أو مقامراً أو مغامراً أو ..

محجـــوبة : لا .. لا. وماذا يهمني أنا من كل هذا؟ المهم عندي أنك الآخر، وأنك تعرف كثيراً، وأن مرآتك صادقة ..

الآخـــــــر : صادقة ؟ ليس دائماً ..

محجـــوبة : وأن ملابسك رائعة وباذخة، وأن عطورك طيبة وجذابة، وأن كلامك ممتع و مقنع، وهذا.. يكفي..

الآخـــــــر : آه.. الآن فقط ، قلت كلاماً مفيداً..

محجـــوبة : وإذا سمحت.. لدي كلام آخر مفيد.. إنني أريد أن تأخذ بيدي، وأن ترشدني، وتهديني، وأن تنعم علي بوصاياك الحكيمة..

الآخـــــــر : إن التجربة علمتني، وهي وحدها مدرستي، ولذلك فإنني أقول لك ما يلي .. انتبهي جيداً لما أقول، كوني كما يشاء الناس، إذا كنت تريدين أن تكوني سيدة الناس..

محجـــوبة : ما يشاء الناس، ولكن، ما قولك سيدي، في ذلك الشيء الآخر، والذي أريده أنا ؟

الآخـــــــر : ما تريدينه أنت يحققه الآخرون، هل فهمت؟ يحققونه وهم لا يشعرون..

محجـــوبة : يا سيدي.. علمني فنون العيش وقل لي كيف ينبغي أن أكون.

الآخـــــــر : ماذا أقول لك ؟ كوني أنت وكفى. ذكية أحياناً، وعاقلة أحياناً، ولكن. احرصي على أن تكوني جميلة وفاتنة في كل الأحيان.. هل فهمت؟

محجـــوبة : فهمت أن أكون جميلة، ولكن .. ما الجمال يا سيدي؟

الآخـــــــر : الجمال سحر، أهونه وأرخصه السحر الحلال، وأخطره وأغلاه السحر الحرام..

محجـــوبة : آه يا ولد الحرام.. (تضحك بخبث) يا ويلي .. ماذا قلت؟ خرج هذا الكلام من فمي من غير أن أشعر ..

الآخـــــر : يحدث هذا أحياناً .. وأنا طبعاً لا أرضى لك إلا سحراً مثيراً وقاتلاً ومدمراً ومرعباً..

محجـــوبة : أكرمك الله يا سيدي، وماذا أيضاً ؟

الآخـــــر : وكوني محبوبة ومطلوبة ومعشوقة.. اجعلي القلوب تحترق بوصلك وفراقك، وتذوب بصهدك وبردك..

محجـــوبة : يا الله .. وما الحب؟ وما العشق؟ خبرني عنهما أكرمك الله..

الآخـــــر : إنهما لعبة اللاعبين ..

محجـــوبة : (تردد كالصدى) لعبة اللاعبين ..

الآخـــــر : وهما وهم الحالمين المجانين ..

محجـــوبة : (تردد كالصدى) وهم الحالمين المجانين ..

الآخـــــر : وهما أيضاً ، جحيم الخاسرين والفاشلين وبذلك، فإنني أوصيك بشيء..

محجـــوبة : نعم، بأي شيء توصيني أيها التاجر الحكيم؟

الآخـــــر : بأن تكوني معشوقة وكفى..

محجـــوبة : (تردد كالصدى) معشوقة وكفى ..

الآخـــــر : وألا تطلبي أحداً، خارج ذاتك، كائناً من كان هذا الأحد، هل سمعت؟ وإذا كان لابد من معشوق، فابحثي عنه في هذه المرآة..(يعطيها المرآة)

محجـــوبة : (وهي تنظر إلى وجهها في المرآة) هذه أنا.. يا سيدي..

الآخـــــر : نعم، ومن غيرك أنت، أحق بأن يحب ويعشق. هل فهمت؟

محجـــوبة : نعم فهمت..تقريباً فهمت ..

الآخـــــر : إياك .. إياك أن تنظري لوجه خارج هذه المرآة، فالسحر كل السحر هنا، والفتنة كل الفتنة هنا، ولاشيء أخطر من الأحلام على قلوب العذارى..

محجـــوبة : الله .. هكذا يكون الكلام وإلا.. فلا كلام ولا أحلام .. وماذا أيضاً يا سيدي؟

الآخـــــر : كوني باكية دائماً.. ابكي بالدمع الغزير..

محجـــوبة : الدمع؟ وما الدمع؟ ومتى يكون؟ وأين يكون؟ ولمن يكون؟ ولأجل ماذا، أو لأجل من يكون؟

الآخـــــــر : الدمع ماء الشفاء، وسلاح الضعفاء، وحيلة السفهاء. وإنني أوصيك به خيراً ابكي بالدمع فقط .. هل سمعت ؟ وإن كان لابد أن تتألمي، فتألمي مع وقف التنفيذ..

محجــــوبة : يا إلهي! ما أجمل كل هذا الذي تقول!

الآخـــــــر : واحرصي أيضاً ، على أن تكوني فاتنة وساحرة دائماً، وتعلمي فنون الغواية والإغراء، أما إذا حدثوك عن شيء يسمى الاحترام، فلا تنتبهي لهم، هل تعرفين لماذا ؟

محجــــوبة : لماذا يا سيدي؟

الآخـــــــر : لماذا ؟ لأن الفتنة لها ثمن، والسحر له ثمن، أما الاحترام فبالمجان..

محجــــوبة : رائع.. رائع كلامك. وماذا أيضاً ؟

الآخـــــــر : تجددي دائماً، وتلوني، وتحولي، كأمك الأرض .. كوني صيفاً حاراً، وكوني خريفاً دافئاً، وكوني شتاء ممطراً، وكوني أيضاً، ربيعاً منعشاً وهادئاً وممتعاً.. اشرقي صباحاً، واغربي مساء، وكوني نوراً وظلمة، وكوني ليلاً ونهاراً ، وارعدي وابرقي وزمجري وامطري واعصفي كما تعصف الرياح..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) واعصفي كما تعصف الرياح..

الآخـــــــر : اسمعي .. إذا كنت زوجة، وكان لك بغل.. عفواً.. إذا كان لك بعل، فاحرصي على أن تكوني أنت قطة .. قطة شرسة..

محجــــوبة : وأظن.. أنني الآن زوجة.. أو أنني .. كنت زوجة، والله أعلم..

الآخـــــــر : أما إذا كنت أماً، فإنه لابد أن تكوني لبؤة مفترسة. هل فهمت؟

محجــــوبة : نعم نعم. فهمت، وماذا أيضاً ؟ حديثك شعر وسحر..

الآخـــــــر : واسمعي أيضاً. لا تكوني حكاية أو رواية أو خرافة؛ خرافة تحكى للأطفال قبل النوم، وكوني أسطورة حقيقية..

محجــــوبة : (تردد كالصدى) وكوني أسطورة حقيقية..

الآخـــــــر : أسطورة يؤمن بها الكبار، ونكون في دولتهم دستوراً، وتصبح في عيشهم اليومي عبادة وعقيدة..

محجــــوبة : يا سيدي الذي لا أعرف اسمه، خبرني عن هذا الشيء الذي يلتصق بي. مع أنه ليس مني، ماذا يكون ؟ (مشيرة إلى لباسها)

الآخـــــــر : إنه رداؤك يا امرأة..

محجــــوبة : لم أفهم. وما الرداء يا سيدتي؟

الآخـــــــر : إنه جلدك الثاني..

محجــــوبة : ماذا تقول ؟

الآخـــــــر : أو هو جلدك الثالث أو الرابع أو العاشر أو العشرون أو المائة أو الألف. لست أدري ، وبقدر ما نملك من الثياب نتعدد ونتجدد. نحن والثعابين أبناء عم..لا نسكن إلا جلدنا ..

محجــــوبة : وكنت أريد أن أعرف أيضاً. أنا من أنا ؟

الآخـــــــر : أنت؟ أنت بنت ..

محجــــوبة : كنت أظنني امرأة..

الآخـــــــر : نعم، والأصل هي الأنثى أيتها الأنثى، أنت بنت من بنات الأفكار، ومن بنات حواء..

محجــــوبة : الأفكار ؟ أفكار من يا سيدي ؟

الآخـــــــر : أفكار كاتب غريب ومجنون. كاتب نسي هو اسمه الأول، ونسيت أنا اسمه الثاني، ونسي التاريخ اسمه الثالث..

محجــــوبة : يا سيدي. لدي كثير من الحروف المشاغبة الأخرى..

الآخـــــــر : مثل ماذا يا بنت الناس ؟

محجــــوبة : مثل ماذا ؟ مثل .. كيف .. وهل .. ومن .. وكم .. وما .. وذا .. ولماذا .. و و و ..

الآخـــــــر : آه. هذا شيء جميل. أتفهمين؟ إنك تسألين وتتساءلين، وهذا معناه. أن كل شيء فيك وحولك يستحق أن يعرف ويفهم، عندما نتعلم السؤال يولد العالم فينا ومن حولنا. أما قبل ذلك فإنه لا يكون..

محجــــوبة : وآخر الكلام يا سيدي ؟

الآخـــــــر : آخر الكلام هو ألا تقبلي شيكاً، من أحد وليكن شعارك دائماً وأبداً. الكاش الكاش وإلا..

محجــــوبة : وإلا ماذا يا سيدي ؟

الآخـــــــر : وإلا .. وإلا (بلاش) كل شيء أو لاشيء، وأنصاف الأشياء طموح التافهين والمحدودين وأنصاف الناس، وأنصاف الرجال وأنصاف النساء..

(يسمع صوت ضجيج بالخارج، فتنتفض محجوبة مذعورة)

محجـــــوبة : من ؟ من هناك قل كلمة السر بسرعة. قلها وإلا أطلقت عليك النار..

الآخـــــــر : ماذا تخرفين يا امرأة. أنت نارك نار أخرى. نار معنوية وليست حقيقية هل فهمت؟

محجـــــوبة : أظنني فهمت. ولكنني لا أعرف من بالباب..

الآخـــــــر : هذا زوجك المحجوب، عاد لينتقم مني ومعه الغضب..

محجـــــوبة : الغضب ؟ أقلت الغضب يا سيدي؟

الآخـــــــر : نعم، ومن الأحسن أن أنسحب أنا .. أنسحب أو أهرب، لا يهم.. المهم هو أن أنجو بحياتي ..

محجـــــوبة : ولكن .. أتتركني وحدي معه، وما أنا إلا امرأة بلا حول ولا قوة؟

الآخـــــــر : ها ها. أنت بلا حول ولا قوة؟ أنت مدمرة ومصفحة، أنت كاسحة ألغام، أنت نفاثة وغواصة، أنت أسلحة الدمار الشامل كلها، أنت جيش بكامله..

محجـــــوبة : إنك تسخر مني يا سيدي..

الآخـــــــر : أبداً.. أبداً يا سيدتي. أنت فقط ينقصك شيء واحد أوحد، وهو أن تثقي قليلاً بنفسك وبمواهبك الخارقة. هذا كل ما ينقصك والسلام..

(مرة أخرى يرتفع صوت الضجيج خارج البيت)

محجـــــوبة : إنه يقترب، وأظنه الآن عند الباب..

الآخـــــــر : إذاً، فهو الوداع يا سيدتي. الوداع. وغداً لابد أن أعود. ومن يدري. فقد نلتقي بعد قليل، وأكون في.. دور آخر، وفي زي آخر..(يخرج وهو يجري)

محجـــــوبة : خسارة. إنه حكيم حقاً، ولكنه جبان. لقد بخره الرعب، وأصبح كأنه لم يكن..

5 - لعبة الحاكم العام و(المدام)

(يدخل المحجوب وهو في زي «فنطازي» غريب، يضع على رأسه عمامة كبيرة جداً، تتوسطها ريشة ملونة .. يمسك بيده سوطاً، يفرقعه في الهواء وكأنه مروض أسود في السيرك)

المحجـــــوب : أين هو ذلك الخنزير، أين اختفى؟ لقد تركته حياً. وكان هنا، في بيتي، قريباً من فراشي، يقول الأكاذيب، ويزور التاريخ، ويحكي الأساطير و الخرافات، ويروج الإشاعات والتفاهات..

محجـــــوبة : المحجوب.. أهذا أنت أيها التعس ؟

المحجـــــوب : هذا أنا، وهذه أنت؛ وجهاً لوجه .. هيا .. ماذا تنتظرين؟ قولي لهم أن يأتوني به حياً أو ميتاً.. انتظري.. من الأحسن لو يأتوا به مشنوقاً بطريقة جيدة. أو مصلوباً على لوح، أو مقطعاً إرباً إرباً..

محجـــــوبة : عمن تتحدث يا .. زوجي المخيف؟

المحجـــــوب : أتحدث عن الآخر. ذلك الوسخ الذي يدخل بين اللحم والظفر والذي لا يأتي عادة إلا إذا كنا لا ننتظره، ولا نريده، وهو يخرج لنا كالعفاريت من حيث لا ندري، ومن حيث لا نتوقع ..

محجـــــوبة : لقد غير الزي والدور ليكون أهلاً لمحجوبة ..

المحجـــــوب : (غاضباً وهو يكلم أشخاصاً وهميين في خلفية المسرح) يا ابن الأبالسة، ألف مرة قلت لك اهتم بشغلك جيداً، ولكنك لا تسمع، ولا ترى.. هيا. اعط الموسيقا المناسبة للرجل المناسب، والذي هو أنا، وللموقف المناسب، والذي هو هذا الموقف العجيب والغريب .. (يتوجه بوجهه إلى ناحية أخرى) وأنت أيضاً.. هاه. تضحك عليه، وأنت أبلد منه، وأتفه منه، أتتركني في الظلمة وأنا من أنا؟ اللعنة عليك. اهتم بشغلك جيداً، وزوّد الإضاءة قليلاً، واعطني الإضاءة المناسبة، أتريد أن تحجبني بالظلمة أيها العدو؟

محجـــــوبة : تريد الموسيقا والضوء وهذا معناه، أنك (رقاص) وستتحفني بوصلة رقص أليس كذلك ؟

المحجـــوب : لا. بل سأتحفك بوصلة ضرب..(يفرقع السوط في الهواء فتهرب محجوبة خائفة)

محجـــوبة : وا أمي.. تحسنت أحوال الرجل وأصبح أفظع مما كان..

المحجـــوب : يا سبحان الله. هذه المرأة لا تريد أن تفهمني..

محجـــوبة : وأنت.. دائماً هو أنت. ولا تريد أن تقوم بجهد إضافي من أجل أن تفهمني..

المحجـــوب : إذن انتبهي جيداً، وستفهمين كل شيء. فأنا الحاكم العام في هذه الجزيرة..

محجـــوبة : أية جزيرة ؟

المحجـــوب : لقد دخلت عليك دخول الصعاليك والشحاذين وهذا شيء ضد البروتوكول والإتيكيت، وضد تقاليد هذا البلاط.

محجـــوبة : أي بلاط ؟

المحجـــوب : دخلت ولم تصحبني الموسيقا النحاسية، ولا حتى الموسيقا الحديدية أو الرصاصية، والإضاءة كانت باهتة وخافتة، ولعلك لاحظت ذلك. إن رجلاً في مثل وزني ينبغي أن يلازمه الصخب والضجيج، وأن تصحبه الطبول والمزامير، وأن يمشي دائماً وسط الزغاريد والهتاف..

محجـــوبة : الضجيج؟ لقد سمعته..

المحجـــوب : حقاً ؟

محجـــوبة : وحق لا إله إلا الله سمعته. ورأيت رجلاً عظيماً يشبهك. كأنه أنت. أو أنه فعلاً أنت. يبقى شيء واحد لا أعرفه وهو.. أين أنا؟

المحجـــوب : أين أنت؟ أنت في حضرتنا، وفي قصر عظمتنا. تمسكي بذراعي ولنعد المشهد من بدايته.. (يتأهبان للدخول بشكل رسمي) الضوء والموسيقا.. الآن فقط يمشي التاريخ في الاتجاه الصحيح. أليس كذلك يا حرمنا المصون؟

محجـــوبة : أنا.. قبل أن تأتي، حدثني قلبي وقال، إن هذا التاريخ يمشي في الاتجاه الممنوع والحمد لله أنك أتيت..

المحجـــوب : الحمد لله. وكل هذا بفضل توجيهاتك وحكمتك..

محجـــوبة : العفو.. سيدي..

المحجــــوب : (وقد تذكر) آه. لو يأتوني بذلك الرجل النصاب..

محجــــوبة : تقصد الآخر يا سيدي ؟ إنه عالم وحكيم ورجل خدوم..

المحجــــوب : ولكن التقارير التي بين يدي تقول عكس هذا..

محجــــوبة : ماذا تقول؟

المحجــــوب : تقول إنه خائن وعميل وكذاب ودجال ودساس..

محجــــوبة : أكاذيب يا سيدي. أكاذيب .. حسدوه وغاروا منه، فروجوا الإشاعات الكاذبة والمغرضة في كل مكان..

المحجــــوب : آه حسدوه. وعلى أي شيء؟ على قلة عقله. وعلى سرقاته التي وصلت رائحتها إلى جبل قاف. ثقي بأنني سأشنقه يوماً..

محجــــوبة : تشنقه؟

المحجــــوب : وأشنق زوجته أيضاً وحماته كذلك..

محجــــوبة : ولماذا زوجته وحماته ؟

المحجــــوب : لماذا ؟ لأن كل سارق عظيم وراءه امرأة، هل فهمت ؟ امرأة لها مطالب حمقاء، وهذا الرجل البليد سرق ليرضيها، وقد دفعته للسرقة لترضي أمها. وفي الصورة دائماً رجل آخر أو امرأة أخرى، وهما المذنبان الحقيقيان في أكثر الأحيان..

محجــــوبة : لا. أنت تمزح بلا شك يا صاحب العظمة..

المحجــــوب : ومن أين يأتيني الوقت لأمزح ؟ أعباء الدولة كبيرة وخطيرة يا مدام، فأنا الآن مثلاً سأستقبل (بشا دور) بلاد عجبستان، وأقيم حفل عشاء على شرفه. ثم من بعد نبرم شيئاً لنعدل المزاج.. (يجلس إلى الأرض، ويبدأ في لف سيجارة) وسوف نختم إن شاء الله هذا اللقاء الناجح والفالح بفناجين القهوة المعطرة..

محجــــوبة : ليس بالبيت قهوة..

المحجــــوب : سأبعث وزيري في الشؤون البرانية من أجل أن يأتيني بها.. (يصفق) وزيري.. أين اختفيت أيها الملعون؟ وزراء آخر الزمن، لا تراهم إلا في التلفزيون..يغيبون الأيام كلها، ولا يحضرون إلا ساعة التنصيب وساعة القبض على (المانضة)..

محجــــوبة : سيدي.. أ أقول لك كلاماً ؟

المحجــــوب : قولي ما تشائين، فأنا والحمد لله ديموقراطي الطبع..

محجـــــوبة : وتسمع كلامي يا سيدي؟

المحجـــــوب : آه. إن كان علي السمع فإنني سأستمع إليه، أما غير ذلك، فإنني لا أعدك بشيء..

محجـــــوبة : إذن اسمع. إن هذا الزي الفلكلوري يا سيدي..

المحجـــــوب : ماذا به هذا الزي؟ إنه العظمة نفسها، والأبهة عينها، والجلالة كلها، والشياكة بجميع ملحقاتها وتوابعها.. انظري..

محجـــــوبة : أما أنا فأقول عكس هذا تماماً..

المحجـــــوب : من حقك أن تقولي ما تشائين، فأنت في واحة الحرية..

محجـــــوبة : صدقني إذا قلت لك، إن هذا الزي المضحك لا يوافقك.. (تضحك)

المحجـــــوب : وأنت. هل توافقك هذه الهلاهيل التي عليك؟

محجـــــوبة : رجاء. لا تهرب من السؤال بسؤال آخر ..(وهي تتأمله) كأنني رأيت هذه الملابس من قبل، ولكن أين ؟ إنها ليست غريبة عني..

المحجـــــوب : رأيتها بلا شك في خزاناتي العامرة أو ..

محجـــــوبة : لا .. لا رأيتها في السينما أو .. في المسرح..

المحجـــــوب : عجباً. أنت تعرفين المسرح ؟

محجـــــوبة : من بعيد..

المحجـــــوب : أما هو، فتأكدي بأنه لا يعرفك ولا يعترف بك، لا من قريب ولا من بعيد. إنه لا يعرف إلا أهل العلم والفهم وأهل الفكر والروح وأصحاب الحل والعقد من أمثالي .. (يغير لهجته) وإن كنت تريدين الحقيقة، فأنا من أصحاب العقد وحده. أما أصحاب الحل، أو الذين يتوهمون أنهم يملكون الحل، فقد وضعتهم كلهم في السجن وارتحت منهم. إنهم كذابون ودجالون، ويزعمون حل كل شيء وهم في الحقيقة لا (يحلون) إلا أفواههم الكبيرة جداً ..

محجـــــوبة : إنني أعرف بأنك ما لبست هذه الملابس إلا من أجلي..

المحجـــــوب : نعم. وكل شيء أفعله، أفعله من أجلك أنت..

محجـــــوبة : إنك تريد أن تكون في مقامي نفسه ؟ أليس كذلك ؟

المحجـــــوب : والحمد لله على هذه الحال، أصبحت أنت أميرة، وأنا بجانبك

أمير، ولكن المشكلة يا حرمنا المصون هي من يسوق الحمير غداً ؟

محجـــوبة : يسوقها الآخر، أو الآخرون.. (تنظر إليه في إعجاب) هكذا كنت أريدك أن تكون دائماً؛ عظمة ونخوة وأبهة ورجولة..

المحجـــوب : (لنفسه) إنها تتغزل في محاسني والحمد لله على كل حال. لقد تغيرت أحوالي بعد أن غيرت قميصي وسروالي..

المحجـــوب : (مذعوراً) ما هذا ؟ ابتعدوا عني، وارجعوا من حيث أتيتم. ارجعوا عليكم اللعنة ، لن تأخذوني حياً. وسأقاوم حتى الموت..

محجـــوبة : ماذا يقول هذا الرجل؟

المحجـــوب : الكلمة الأخيرة كلمتي أنا، ولم أقلها بعد..

محجـــوبة : هكذا نحن دائماً مع أولاد الجيران. بسم الله الرحمن الرحيم. إنهم شياطين في صورة الآدميين..

المحجـــوب : لا .. لا ليس هذا من تدبير الأطفال، ولكنه انتفاضة العسكر. لقد فعلوها يا حرمنا المصون..

محجـــوبة : خسارة. كنت ستكون أجمل لو لم تكن جباناً..

المحجـــوب : آه. والموتى يا للا، هل يفيدهم جمالهم؟ طبعا لا. وألف لا وكلا..

محجـــوبة : وفي هذا، أنت تشبه الآخر، أو ربما تشبه كل الآخرين.. من يدري؟

المحجـــوب : خذي.. (يعطيها بندقية صيد عتيقة)هذا سلاحي أيتها المرأة الحديدية. امسكيه بقوة واذهبي إلى ساحة الوغى..

محجـــوبة : يا أيها الرجل، ترجل ..

المحجـــوب : قلبي معك.. خذيه واذهبي ترافقك الدعوات. إذا انتصرت، عودي إلي، لأعلق لك الأوسمة على صدرك..

محجـــوبة : نعم. وإذا قتلت ؟

المحجـــوب : اطمئني.. أوسمتك لابد ستصلك، وسأعلقها إن شاء الله على ضريحك..

محجـــوبة : ولكن الحرب، لا وجود لها إلا في دماغك المريض والمتعب..

المحجـــوب : يا زوجتي، أمور السياسة أنا أعرف بها منك، هل فهمت ؟ وما

عليك سوى أن تذهبي، وأن تقاتلي بشراسة، وأن تكوني رجلاً وابنة رجل..

محجـــــوبة : أكون رجلاً ؟ .. وأنت، ماذا تكون ؟

المحجـــوب : لكي أكون أنت. نتبادل الأدوار. وهي في الأصل قابلة للتبادل..

6 - الآخر يصبح ولداً ..

(يدخل الآخر وهو في زي ولد متصعلك .. يضع على رأسه خوذة لقيادة الدراجات النارية .. يرتدي بذلة جلدية)

المحجـــــوب : (من غير أن يلتفت إلى القادم، يرفع يديه إلى الأعلى مستسلماً في خوف) إنني استسلم، ولا أقاوم.. أنت أيضاً. ارفعي يديك. لابد أن نعلن انهزامنا أمام الملأ..

محجـــــوبة : (تضحك) نستسلم؟ هكذا.. وبسهولة، وأمام من ؟

الولـــــــــد : أمامي أنا.. (مزهواً بنفسه)

المحجـــــوب : اسأليه.. اسأليه يا محجوبة.. هو .. من هو ؟

محجـــــوبة : دعني أضحك عليك. فأنت لا تزداد إلا حمقاً وغباء..

المحجـــــوب : يفعلها يا زوجتي، ويفعل أكثر منها..

محجـــــوبة : يفعلها؟ من هو الذي يفعلها؟

المحجـــــوب : الخوف ..

محجـــــوبة : آه .. الخوف ؟ قبحه الله. يظهر أنه قد أنساك كل الوجوه، حتى وجهي أنا، ووجه ولدك..

الولـــــــــد : أبي.. أبي الحبيب.. (وهو يقترب منه)

المحجـــــوب : ابتعد عني ..

الولـــــــــد : يمكن أن تضع يديك، فقد عفوت عنك وعن زوجتك، وعفوت عن كل ذريتك من بعدك..

المحجـــــوب : هذا ولدي ؟!

الولـــــــــد : نعم. هو ولدك، وهو غريمك ووارث كل أملاكك من بعدك.. ها ها.. ما رأيك في هذه المزحة يا أبي ؟

المحجـــــوب : محجوبة.. هذا «الشحط » كله ولدي ؟ ولدي أنا وحدي ؟

محجـــــوبة : وولدي أنا أيضاً..

المحجـــــوب : سبحان الله ؟ انظري إليه. كأنه من كائنات المريخ. إنه غريب ورهيب يا محجوبة. وهذا الزي الغريب من أين أتى به ؟ حقاً إنه ولد مرعب..

محجـــــوبة : (تضحك) آه.. وهل يقلقنا ويرعبنا إلا الذين خرجوا منا ؟.

المحجـــــوب : الآن فقط عرفت. بأن الآخرين هم الأصل..

محجـــــوبة : هم الأصل؟. أصل أي شيء يا زوجي؟

المحجـــوب : أصل كل البلاء يا محجوبة، ومصدر كل العذاب، ومصدر كل الشقاء.. هذا الولد، انظري إليه جيداً ، ألا يذكرك به؟

محجـــــوبة : به؟ بمن يا المحجوب؟

المحجـــوب : بالآخر. ذلك الرجل الغريب والضيف الذي ليس ضيفاً..

محجـــــوبة : ماذا تخرف ؟ إن كل واحد فينا ليس أنت، وأنت ليس أنا هو الآخر. هل فهمت؟ أو الآخر، وهذا الولد ولدك، وهو يشبهك تماماً. يشبهك حتى لكأنه أنت هو ، وهو أنت ..

المحجـــوب : أما أنا فأقول بأنه يشبه الآخر..

الولــــــــد : الآخر.. إنهما يتحدثان عني..

محجـــــوبة : (غاضبة) ماذا تقصد بهذا الكلام ؟ إنك تغمز شرفي، وتشكك في وفائي و إخلاصي ، أليس كذلك؟

الولــــــــد : أنت.. لماذا تغمزمن شرف أمي؟ وهل يرضيك يا أبي أن أفعل فعلك، وأن أتطاول عليك، وأن أغمزمن شرف أمك..

المحجـــوب : يا ولدي .. يا ولدي .. كن واسطة خير، واعلم أن في الأمر سوء تفاهم. أنا قلت كلاماً، وأمك فهمت كلاماً آخر، وهذا كل ما في الأمر..

الولــــــــد : اعتذارك هذا مقبول يا أبي..

المحجـــوب : الحمد لله ..

الولــــــــد : إذا كان مشفوعاً بهدية صغيرة. سيارة مثلاً، أو طائرة أو باخرة أو حتى كروسة..(تأتي أصوات ضجيج من الخارج)

محجـــــوبة : من بالباب ؟ من ينادي ؟

الولــــــــد : هؤلاء أصدقائي. أولاد الدرب. سأخرج إليهم وأعود حالاً.. (يخرج)

محجـــــوبة : يا الله. ما أروع هذا الولد.. إنه جميل ومؤدب . الله يرضى عليه، ويحفظه من كل سوء..

المحجـــوب : نعم. إنه مؤدب، والدليل سوف يأتيك بعد حين .. (يتعالى الضجيج بالخارج) تعالي يا محجوبة. اقتربي من الشرفة، وتأملي هذه الصور المؤدبة..

محجـــــوبة : هذا ولدي يمارس شغبه الجميل والبريء..

المحجـــــوب : ما هذا الذي تفعله أيها الولد؟ يكفي.. يكفي. ألا تسمع؟
محجـــــوبة : دعه يا المحجوب. إنه طفل صغير. ألا ترى؟ ومن كان في مثل سنه لابد أن يلعب..
المحجـــــوب : ولكن.. ألا ترين؟ لقد دمر كل شيء. وخرب كل شيء. وأفسد كل شيء
محجـــــوبة : إنه ولدك. وهو يقلدك في كل شيء. أنت تخرب البلاد، وهو يخرب ما تبقى..
المحجـــــوب : ولدك هذا قهرني.. قهرني أنا وقهر البلاد والعباد..
محجـــــوبة : إنه صورتك وامتدادك، وهو يمارس شيئاً من سلطتك، وهذا من حقه يا بعلي..
المحجـــــوب : إنه يدمر، ويكسر، ويلقي بالأشياء إلى الأرض، أو يطوح بها في السماء..
محجـــــوبة : نعم. وكل ذلك في نخوة ورجولة واعتزاز بالنفس..
المحجـــــوب : إنه فعلاً ولد أمه..
المحجـــــوب : اليوم ، يلقي بهذه الأشياء الصغيرة، ولكن غداً ، عندما يكبر ويتضخم حمقه وجنونه، هل تعرفين بأي شيء سوف يلعب؟
محجـــــوبة : بالأشياء نفسها طبعاً..
المحجـــــوب : لا. بل سيلعب بنا نحن الاثنين وسيدمرنا إن شاء الله تدميراً فيه نخوة ورجولة، وفيه اعتزاز بالنفس..
محجـــــوبة : لست أدري، من أين تأتيك كل هذه الأفكار السوداء.. إنك تتحدث عن ولدي .. ولدي أنا، ألا تعرف هذا ؟ إنه قطعة من دمي ولحمي، وأنا أعرف الناس به . نعم ..إنه يفكك الأشياء.. فقط من أجل أن يعرفها، ويفهمها .. انظر إليه. إنه لا أحد يدمر الأشياء مثله.
المحجـــــوب : نعم .. نعم إنه يدمرها ويكسرها.. بشاعرية غريبة جداً.. يا الله .. هي شاعرية فيها جمال وتناغم، وفيها علم عميق بعلم التخريب..
محجـــــوبة : ما يعجبني فيه هو هذه الطريقة العجيبة في صفع رفاقه..
المحجـــــوب : إنه عبقري في كل شيء .. مبدع كبير يا حرمنا المصون، خصوصاً في صفع الخدم، وفي صفع أولاد الجيران، وفي مطاردة القطط ..
محجـــــوبة : إنه يصفعهم فعلاً. ولكن بحب وشاعرية وحنان..

المحجـــوب : صدق من قال ، ومن الحب ما صفع..

محجـــوبة : انظر.. انظر يا أيها الرجل.. انظر..

المحجـــوب : ماذا فعل أيضاً ؟

محجـــوبة : يا الله. تأمل هذا المنظر. إنه مضحك ومسلي..

المحجـــوب : مضحك؟ بل قتل أحداً من الناس. يا حرمنا المصون.

محجـــوبة : لا لا ليس بعد .. إنه فقط عض أذن الجارة مرجانة. والله تستاهل، فهي دائماً تتصنت وراء الأبواب، وتنقل الأخبار. يفعل خيراً لو يعض لسانها في المرة القادمة..

المحجـــوب : أخبريني يا حرمنا المصون. هذه البلاد من يحكمها ؟

محجـــوبة : من يحكمها ؟ تحكمها عظمتكم طبعاً..

المحجـــوب : آه عظمتنا.. شيء جميل. وعظمتنا يا للا من يسيرها ويديرها ويوجهها ويتحكم فيها ؟

محجـــوبة : عظمتكم الكبيرة يا بعلي يوجهها إلى الفلاح والصلاح ضعفنا الواضح والبين..

المحجـــوب : الله الله. وماذا أيضاً، يا زوج عظمتنا؟

محجـــوبة : .. ويغنيها فقرنا الجميل والنبيل..

المحجـــوب : نعم ؟

محجـــوبة : .. وتقهرها ابتسامتنا الشفافة..

المحجـــوب : الله أكبر..

محجـــوبة : .. وتروضها حيلتنا البريئة...

المحجـــوب : البريئة. يا... ؟

محجـــوبة : وحق لا إله إلا الله هي حيلة بريئة براءة الأطفال وطاهرة طهارة الملائكة التي في السماء..

المحجـــوب : وبهذا أكون يا مولاتي أنا الحاكم العام هو المحكوم الحقيقي، أكون خادمك وتابعك وأنا لا أدري.. قبح الله الجهل ..

محجـــوبة : لا .. (بغنج ودلال) أخجلت تواضعي يا سيدي المحجوب.. (يتعالى الضجيج الذي سبق دخول الولد)

الولـــــــد : أمي.. أمي.. لا. أنت لست أمي. آه. أنت هنا يا ابنة الجنية ؟

محجـــوبة : نعم. أنا هنا. وأين تريدني أن أكون ؟

الولـــــــد : لقد كبرت يا أمي. وأنا في الطريق إلى البيت، وجدت نفسي

كبرت. أصبحت رجلاً. قولي تبارك الله يا أمي..

محجوبة : تبارك الله والصلاة على النبي . حقاً لقد كبرت..

الولد : انظري إلي. لقد أصبحت أطول قامة منك ومن أبي..

المحجوب : ما أسعدني بطولك وعرضك يا ولدي (هراندو)

الولد : أمي.. أمي. إنني أريد أن ألعب ألعاب الكبار..

محجوبة : العب يا ولدي كما تشاء. كل الخدم بين يديك..

الولد : لالا . الألعاب القديمة. واللعب القديمة لم تعد تستهويني. أنا كبرت .. كبرت يا أمي. ألا تسمعين؟ وأصبح من حقي أن ألعب لعبة أبي..

محجوبة : ماذا تقول يا ولدي ؟

الولد : .. وأن أجلس في أماكنه، وتكون لي سلطة..

المحجوب : (يضحك) آه. الآن فقط أقول لك من يحكم هذه البلاد، ًنه ليس أنا، وليس أنت ولكنه هذا الولد..

محجوبة : ولدي ؟

المحجوب : نعم. ولدك الأهبل هو الحاكم العام، فأنا أحكم الناس، وأنت يا أمه تحكمينني، أما ولدك يا للا فهو يحكمنا جميعاً. وكان الله في عون بلاد يحكمها المجانين والحمقى والنساء والخدم والجواري والأطفال والمرضى والموتى والمعتوهون والمتخلفون وو..

(يجلس الولد على السرير، ويحوله إلى شبه هرش)

الولد : أيها الناس. لقد أصبحت الحاكم. وهذا عهد جديد. الحاكم القديم مات..

محجوبة : مات؟ وكيف؟ أنت لم تقل لي بأنك مت..

المحجوب : ولدك الأهبل لم يعطني الوقت لأقول شيئاً..

محجوبة : يا ويل أمي. هل أفرح لهذا. أم أبكي لذاك؟

المحجوب : هل رأيت يا زوجنا المصون، إن الغلبة دائماً للآخر وللآخرين ؟

محجوبة : وماذا تقترح أيها الحاكم الذي لا يحكم شيئاً ؟

المحجوب : أقترح أن نخلع هذه الملابس، وأن نعود إلى حجمنا الطبيعي، وأن نعيش حياة كل يوم، فهذا أحسن بلا شك..

محجوبة : اذهب أنت أولاً.. غير ملابسك، وسألحق بك بعد ذلك. اذهب، ماذا تنتظر؟

(يخرج المحجوب)

7 - هي وهو ولعبة التحول ..

(الولد الآخر ومحجوبة وحدهما)

الولـــــــد : لقد رحل. تراجع منهزماً يا أمي والعمر له حكمه..

محجـــوبة : يا أيها الرجل .. أنا لست أمك..

الولـــــــد : يا الله. ما أروع عظمتي وأبهتي، وما أجمل جاهي وسلطاني..

محجـــوبة : خذ. تأمل حسنك وبهاءك. فهذه هي المرآة التي أعطيتني. انظر إلى وجهك يا مسخوط الوالدين. لا أحد أكذب من المرآة، ولاشيء أصدق منها.

الولـــــــد : آه. ما أجمل الحكم وما أحلاه. أنا في المرآة أجمل قليلاً. لا. بل كثيراً جدا. أليس كذلك يا أمي؟

محجـــوبة : أنا أيضاً، كنت يوماً، في تلك المرآة المزيفة أجمل. وكنت أعظم وأشرف وأعلى قدراً. ألا تذكر هذا أيها.. الآخر؟

الولـــــــد : (مرتبكاً) آه.. ماذا ؟ إنني.. أنا ولد يا أمي..

محجـــوبة : أنت ولدي؟

الولـــــــد : نعم. ووارث سرك ووارث علمك وجهلك. أنا ولدك الوحيد، وأنت أمي الوحيدة يا أمي..

محجـــوبة : لا ..لا أنت لاشيء. أنت مجرد وهم خادع وكذاب. فابتعد عنا. أنت سراب فقط، أنت دخان وخيال. لقد تخيلنا يوماً أنا والمحجوب أن يكون لنا ولد فجئت أنت..

الولـــــــد : وبمجيئي، غمرت هذا البيت السعادة..

محجـــوبة : وكانت سعادة كاذبة، وقبل هذا كان الحمل كاذباً، وكان المخاض كاذباً، وكان الوعد كاذباً..

الولـــــــد : يا أمي .. من علمك هذا الكلام؟

محجـــوبة : منك استفدنا كثيراً..

الولـــــــد : تأكدي بأنه لا يليق بك، ولا ينسجم مع الأنوثة، ولا يتماشى مع روح الأمومة و..

محجـــوبة : أنت الآخر. خدعتني مرة. وجئت لتخدعني مرة أخرى.. (تخرج صندوقاً كبيراً وتفتحه)

الولـــــــد : ماذا تفعلين يا أمي؟ وهذا الصندوق العتيق. من أين أتيت به؟

محجــــوبة : إنه صندوق ملابسي، وهو لا يليق بأم الحاكم. أليس كذلك؟ ولكنه مع ذلك صندوقي الوحيد، وفيه وجهي الحقيقي، وفيه رائحتي وأشيائي الصغيرة ..

(تأخذ في تغيير ملابسها)

الولـــــــد : يا أيتها المرأة. ما هذا الذي تفعلين ؟.

محجــــوبة : ماذا أفعل؟ . إنني أغير ملابسي. ألا ترى ؟ من حقي أن أعود إلى نفسي. وهذا الزي الطاووسي لا يلائمني.

الولـــــــد : لا .. لا أرجوك. ابقي كما أنت وكوني أمي. إن هذا الدور يليق بك..

محجــــوبة : لست أماً لأحد. واللعبة انتهت. وقد ندمت على كل شيء مضى..

الولـــــــد : ندمت ؟ غير ممكن..

محجــــوبة : ندمت على أنني وبغباء شديد غيرت نفسي، وأصبحت أماً لك..

الولـــــــد : ونعم الأم أنت..

محجــــوبة : وبئس الولد أنت .. وندمت أيضاً. لأنني استمعت لوصاياك التافهة..

الولـــــــد : أية وصايا ؟. إنني لم أعد أذكر..

المحجــــوب : محجوبة.. أين وضعت البالطو ؟

محجــــوبة : البالطو الجديد ؟ إنه في خزانة الملابس..

المحجــــوب : ماذا تقول هذه المرأة؟ يا محجوبة.. إنني أسألك عن بالطو (الخردة)

محجــــوبة : أعرف .. أعرف. ذلك الذي اشتريته من دوفيل ؟

المحجــــوب : سبحان الله. أنا لا أعرف إلا البالطو الذي اشتريته من سوق الكلب..

محجــــوبة : آه.. ذلك ال .. (بصوت منخفض) ابحث عنه في المطبخ. لقد

حولته إلى جفاف ومسحت به الأرضية ..

المحجـــوب : يامحجوبة. ذلك الرجل الغريب. ألم ينصرف بعد..

الولـــــــد : قولي له إنه مازال هنا. وإنه لم ينصرف .

المحجـــوب : ولماذا لم تنصرف ؟ (يضحك)

(يختفي المحجوب)

الولـــــــد : لماذا ؟ لأنني ممنوع من الصرف..

محجـــــوبة : الباب من هنا يا سيدي. زارتنا البركة. سعيك مشكور، ونلقاك غداً يوم القيامة. تفضل..

الولـــــــد : سبحان الله الأدوار تتغير..

محجـــــوبة : .. وكل شيء يتغير..

الولـــــــد : .. من قبل. كان زوجك هو الذي يطردني. أما الآن فإن هذه المهمة أصبحت مهمتك..

محجـــــوبة : البيت ضيق. كما ترى. ولا يمكن أن يسع أكثر من جسدين وروحين..

الولـــــــد : إنني ذاهب، ولكنني حتماً سأعود. هل تعرفين لماذا ؟لأنني مجرد دور مسرحي، والمسرحية لا تزال طويلة. لا أقول لك وداعاً. هل تعرفين لماذا؟ لأننا بعد قليل سنلتقي..(يخرج وهو يجري)

محجـــــوبة : الباب من هنا يا .. ترك الباب وفضّل أن يخرج من النافذة.. من يدري. قد يكون أيضاً. دخل من النافذة... (تكون محجوبة قد غيرت ملابسها، وأصبحت في زي امرأة أخرى) يا الله. الآن فقط أحس بأنني في جلدي الحقيقي، وأن هذا البيت بيتي، وأن هذا الزي زيي، وأن هذا السرير سريري، وأن هذا الاسم الذي أعرف به هو اسمي..

المحجـــوب : (يطل عليها من مكان ما) محجوبة.. أين وضعت حذائي (البوط) ؟

محجـــــوبة : ولماذا (البوط) والوقت ليس شتاء ؟

المحجـــوب : ستعرفين كل شيء في حينه، الآن فقط اخبريني أين هو ؟

محجـــــوبة : أين هو .. أين هو.. لست أدري. أنت عادة عندما تنام تتركه قريباً من وسادتك..

المحجـــــوب : لا هذه العادة السيئة تخليت عنها من زمن بعيد..

محجـــــوبة : فعلاً. إذن فتش عنه في الحديقة..

المحجـــــوب : ماذا تقولين ؟ ليس في بيتنا حديقة يا امرأة...

محجـــــوبة : آه.. تذكرت .. لقد رأيته في حجرة الخدم..

المحجـــــوب : يا بنت الناس نحن ليس لنا خدم..

محجـــــوبة : عجباً.. هذا الرجل ليس على لسانه إلا ليس.. أيكون قد نسي اللغة وهو لا يدري ؟

المحجـــــوب : محجوبة. لا داعي لأن تبحثي عنه هناك، فقد وجدته هنا.. (يختفي)

محجـــــوبة : الحمد لله أنك وجدته.. آه وآه. الآن أحس بأنني أنا.. كم اشتقت إلى ثرثرة الجارات.. الضاوية.. (وهي تطل من شرفة وهمية) صباح الخير. شمس الضحى. شمس النهار. شمس العشية. كيف حال الأولاد ؟ والزوج، كيف هو اليوم؟. هل تحسنت أحواله ؟ الحمد لله. كان قريباً منها. من أي شيء ؟ من الموت يا أختي .(تغير الموضع، وتذهب إلى شرفة وهمية أخرى) أختي راضية.. يا أختي راضية.. أين أنت ؟ صباح الخير.. يا ويلي .. ماذا بك ؟ هل كنت تبكين ؟ لا. أقلت لا . أنا أيضاً قلت هذا. إنني أعرفك وأعرف أنك سعيدة مع سيدي سعيد. أنت لا ينقصك شيء. لاشيء سوى أن تحمدي الله وتشكريه.. نعم نعم. هو البصل. أنا أيضاً قلت هذا، والبصل الملعون عدو العيون، وهو يأتي دائماً بعد شهر العسل .. آه لو كانت الأيام الأولى تدوم وتبقى، ولكن.. البقاء لله وحده.. سلمي لي على البصل..(تغير الشرفة .. تنادي) يا للا حورية.. يا للا حورية. صباح الخير (الزين) تبارك الله والصلاة على النبي . أنت لا تزدادين إلا جمالاً وفتنة، وربي وحده هو الذي أعطاك.. أعرف أعرف. جمالك هذا يسبب لك المشاكل. المسكينة، زوجها حلوف وابن حلوف، وغيرته القاتلة على للا حورية أصبحت حديث القاصي والداني والرائح والغادي.. ماذا ؟

رأيتها يا للا حورية .. عينك زرقاء ومتورمة. وهذه واحدة من علامات الحب الأحول.. ويلي (يشويني فيك) حب.. ماذا تفعلين يالال. اللّه يهديك وخلاص .. أنت مربوطة فيه، وهو مربوط فيك، والربطة (زغبية) وهي بنت ألف كلب. ماذا ؟ تسألين عن زوجي. سيدي المحجوب؟ يسأل عليك الخير. لقد ذهب ليرتدي بدلته السوداء، وبعد قليل سيحضر السائق، ليحمل له حقيبته ويفتح له الباب، ويوصله للوزارة. حقاً، هو الآن ليس وزيراً، ولكنه ينتظر. لقد قالوا له إن مع التناوب، لابد أن تأتي نوبته، وهو ينتظر أن يكون اسمه مع الأسماء الأولى. وهو ينتظر. لقد هيأنا كل لوازم الوزارة. الجلابة والسلهام والبلغة والخطبة وهو ينتظر. وذهب الى الشوافة للا ميمونة، ووعدته خيراً، وهو ينتظر.. (يسمع صوت المحجوب وهو قادم) استسمحك يا للا حورية. وأراك بعد حين. هذا زوجي سيدي المحجوب قادم..

8 - خاب ظني في الذي ..

(يدخل المحجوب وقد ارتدى زياً يشبه زي الصيادين في الأدغال الأفريقية .. على كتفه بندقية، وفي يده سوط وعصا لاصطياد الكلاب)

محجـــوبة : يا ويلي. في بيتنا رجل. رجل غريب يا المحجوب..

المحجـــوب : رجل؟ أين هو ؟ دليني عليه وأنا أؤدبه تأديباً. وأجعل منه أديباً كبيراً. أين هو ؟

محجـــوبة : غير ممكن. أهذا أنت يا المحجوب ؟

المحجـــوب : نعم. هذا أنا. نسيت وجهي بكل هذه السرعة يا خائنة..

محجـــوبة : لا .. لا. أنت عرفتك. ولكن الملابس خدعتني..

المحجـــوب : سلمت عيونك يا (مولاة الدار) والملابس دائماً خداعة..

محجـــوبة : لم تقل لي.. لماذا هذا الزي؟ أما زلت تمثل معي يا زوجي الوزير؟

المحجـــوب : ماذا تقول هذه المرأة؟ التمثيل انتهى يا بنت الناس، وهذا اللباس هو لباسي الحقيقي؛ به عرفت دائماً، وبه أعرف اليوم في المحافل الشعبية..

محجـــوبة : إنه يمزح معي، ولن أصدقه، وهذا هو المحجوب، لا تنقصه النكتة، وهو يعشق الضحك..

المحجـــوب : إنني ذاهب إلى الشغل. ألا تريدين شيئاً ؟

محجـــوبة : أريد سلامتك.. يا زوجي الوزير .. الوزير الأول، وحتى لو كنت الوزير الأخير فلا يهم.. المهم هو الصحة والسلامة وستر مولانا. اذهب.. رافقتك السلامة في الذهاب والإياب، وفي كل خطوة تخطوها..

المحجـــوب : محجوبة.. رأيتك هذا الصباح تقولين شعراً..

محجـــوبة : نعم. وهل تعرف لماذا؟ لأنني فرحة بك، وفخورة بمقامك بين الناس. اذهب يا المحجوب، وغير هذه الملابس..

المحجـــوب : ولماذا أغيرها، وهي ملابسي وملابس الشغل ؟

محجـــوبة : ملابس الشغل ؟ هكذا ؟ وماذا تشتغل إن شاء الله بهذه الملابس ؟

المحجـــــوب : كيف ؟ ألا تعرفين ؟

محجــــــوبة : ماذا أقول لك ؟ أعرف ولا أعرف..

المحجـــــوب : إنني أشتغل بمصالح البلدية، صياداً للكلاب الضالة..

محجــــــوبة : أويلي.. أويلي واستغفر الله..

المحجـــــوب : لا تصرخي هكذا يا بنت الناس، وفكري في الجارات. للا الضاوية وللا راضية وللا حورية وللا حفصة وللا خناتة. فكري في الفضيحة..

محجــــــوبة : (بصوت منخفض) زوجي أنا يصطاد الكلاب؟ زوج محجوبة؟ محجوبة بنت حاجب السلطان؟ يظهر أنني قد أصابتني العين.. أنت ماذا بينك وبين الكلاب؟ تكلم أيها الظالم الآثم.. الآخرون يصطادون الغزلان وأنت تصطاد الكلاب، لماذا؟ وماذا بينك وبين الكلاب؟

المحجـــــوب : ليس كل الكلاب يا محجوبة. ولكن فقط، تلك الضالة والمتشردة والمجنونة والمسعورة والمريضة والمؤذية، والتي ليس لها مأوى يأويها، وليس لها صاحب يصحبها ويتبناها. وليس لها أوراق شخصية تعرف بها..

محجــــــوبة : ياويلي. ياويلي.. هذا الرجل سيجعلني أضحوكة بين الجارات..

المحجـــــوب : أضحوكة ؟ أنت ؟ لا عاش من يضحك عليك. يظهر أنك لا تعرفين قيمتك، فأنت سيدة كل الناس، وأنت سلطانة كل النساء..

محجــــــوبة : تسخر مني أيها الخبيث؟

المحجـــــوب : أبداً .. أبداً.. فأنت التي تغنى بك الموشح وقال (أنت أحلى الناس في نظري) في نظري أنا، وفي نظر كل المجتمع المدني والقروي..

محجــــــوبة : يالله. ألا تخجل من نفسك يا المحجوب؟

المحجـــــوب : خجل؟ ولماذا؟ إن الشيء الذي أعرفه عن نفسي هو أنني رجل شريف ومحترم و..

محجــــــوبة : ها هاه .. رجل شريف ومحترم . ويصطاد الكلاب؟ متى كان هذا؟ متى؟

المحجـــوب : متى؟ الآن يا للا مولاتي. وأمامك الدليل والبرهان..

محجـــوبة : ظهرت على حقيقتك أيها الغشاش.. ابتعد عني..

المحجـــوب : ماذا جرى لهذه المرأة ؟

محجـــوبة : انكشفت يا عدو الله، فاعترف بالحقيقة. اعترف. واظهر وبان عليك لعنة الله..

المحجـــوب : هل رأيتم ؟ كل هذا لأنني أطعمها لقمة الحلال..

محجـــوبة : وأنا التي كنت أعتز بك، وأفاخر بك الجارات، وأقول للسعدية وسعيدة وميلودة بأن زوجي رئيس كبير..

المحجـــوب : صدقت يا محجوبة. أنا فعلاً رئيس كبير، ويشتغل تحت إدارتي ما شاء الله من المساعدين والأعوان ومن التابعين وتابعي التابعين، وإنني أشرف على ترسانة كبيرة من الأسلحة، وعلى كوكبة كبيرة من العربات ذات الأقفاص الحديدية، ويأتمر بأوامري فريق كامل من البغال..

محجـــوبة : وامصيبتاه. يقاسمني البيت والفراش قتال كلاب وأنا لا أدري..

المحجـــوب : وها أنت الآن تدرين. فماذا تفعلين؟

محجـــوبة : .. ويقاسمني العيش سفاك أثيم وأنا غافلة.. أنام وأصحو مع الغافلات والغافلين..

المحجـــوب : يا زوجتي الحمقاء.. أنا رجل مهنته شريفة ومربحة..

محجـــوبة : شريفة. ومربحة. هل سمعتم؟

المحجـــوب : .. ونظيفة أيضاً، إنني أقوم في المدينة بمهمة لا يقدر عليها ولا يقدرها أي أحد .. ويعرف العارفون يا زوجتي من أهل العلم والفهم بأنها مهنة شريفة ونبيلة .. إنني عسكري في زي مدني.. عسكري آخر في جبهات أخرى وفي حرب أخرى وأمام عدو آخر، وإذا حدث مرة لا قدر الله وعضني كلب مسعور وما أكثر الكلاب المسعورة فإنني سأموت شهيداً يا محجوبة. وأكون بهذا قد ضمنت لك تعويضاً مريحاً..

محجـــوبة : يشويني فيك ؟ كلامك هذا سخيف وتافه..

المحجـــوب : اسمعي.. في المرة القادمة سآخذك معي إلى ساحة الوغى، وسترين بأم عينيك كل شيء..

محجـــــوبة : أرى ؟ ماذا أرى ؟

المحجـــــوب : سترين يا بنت الناس فارسك المغوار، وهو يستدرج الكلاب، بتقنية عالية، وبدهاء كبير، وبمهارة وخبرة، وبنخوة المصارع الشجاع..

محجـــــوبة : آه. ليتك كنت مصارعاً من مصارعي الثيران أو.. حتى من مصارعي الضباع ..

المحجـــــوب : مصارعة الثيران أو مصارعة الكلاب.. إنه لا فرق بينهما يا للا مولاتي. افهميني..

محجـــــوبة : وبأي شيء يفيدني أن أفهمك ؟ أنت صياد كلاب وكفى، هكذا أنت ، وهكذا سوف تبقى ..

المحجـــــوب : آه لو رأيت مساعدي وهو يسوق العربة باعتزاز، والكلاب في الأقفاص أسيرة ومذعورة ومكسورة الجناح..

محجـــــوبة : مكسورة الجناح؟ وهل الكلاب التي تصطاد لها أجنحة..

المحجـــــوب : ليس كل الكلاب لها أجنحة، ولا كل الكلاب تطير وتحلق في السماء..

(طرق شديد على الباب)

محجـــــوبة : من ؟ من يطرق الباب؟.

الصــــــوت : إنه أنا.. أنا يا للا محجوبة، وأريد المدير..

المحجـــــوب : هل رأيت؟ إنه يسأل عني..

محجـــــوبة : أنت المدير؟

المحجـــــوب : نعم. وهذا مساعدي. اسمه القائد دحمان..

محجـــــوبة : القائد ؟ وماذا يقود هذا القائد؟

المحجـــــوب : يقود عربة الكلاب. ويقود بغل البلدية الأعرج، ويقود دراجته الهوائية و..

الصــــــوت : (من الخارج) المحجوب. إنني مازلت أنتظر. إن لم تكن هنا فقلها، وإن كنت مت فقلها ..

المحجـــــوب : اطمئن.. إنني هنا. وسأخرج إليك بعد حين..

محجـــــوبة : ياويلتي.. ماذا أقول لبنات خالاتي وعماتي؟ ماذا أقول لمجيدة

وسيدة وفريدة وفنيدة ولزبيدة البليدة؟

المحجـــــوب : قولي لهن إن زوجك صياد محترف ومحترم.. صياد النعام في أدغال وأحراش أفريقيا السوداء..

محجـــــوبة : لن يصدقن. خصوصاً تلك الأفعى الرقطاء، زبيدة البليدة..

المحجـــــوب : قولي لهن إنني أصطاد الثعالب والذئاب والسباع والضباع. فهذه المدينة غابات حقيقية، وحق لا إله إلا الله هي كذلك. صدقيني، وأن أكون صياداً خير ألف مرة من أن أكون طريدة وفريسة و..

محجـــــوبة : أنا أحدثه عن شيء، وهو يحدثني عن شيء آخر. فكيف يمكن أن نتفاهم ؟

المحجـــــوب : يا محجوبة افهميني. إن هذه الغابات لا يدخلها إلا من كان مسلحاً مثلي. وكان في يده سوط وبندقية..

محجـــــوبة : زمن الحرب بالبنادق مضى وانتهى. وهذا زمن آخر..

المحجـــــوب : ينبغي أن تحمدي الله أنني لست سارقاً ولا مرتشياً ولا قاطع طريق، وأنني لست شحاذاً ولا متسولاً ولا دجالاً ولا غشاشاً ولا مهرباً.. إنني أتعب وأشقى، وآكل خبزي مغموساً في عرقي.. يا أيتها المرأة ليس العيش لعباً ولهواً.. ليس شيئاً سهلاً وهيناً، ولكنه حرب شرسة وقذرة، والسعداء هم الذين يخوضونها بشرف مثلي، ويخرجون من بيت الأوساخ بدون أوساخ، ومن دار العيب بدون عيب..

محجـــــوبة : لا .. لا أنت خيبت ظني، وما هكذا تصورتك لحظة، وكل أحلامي وأوهامي تطير الآن مع الرياح..

المحجـــــوب : يا بنت الناس. تأكدي أن فارس الأحلام، والذي يأتي على جواده الأبيض لاوجود له..

محجـــــوبة : (كالصدى) لاوجود له؟

المحجـــــوب : إنه حلم يا مولاتي. وتجري الأيام بما لا تشتهي أحلام الصبايا والعذارى..

محجـــــوبة : أنت .. من أين تأتي بهذا الكلام؟

المحجـــــوب : يا أيتها المرأة، متى تفهمين، بأن من تبحثين عنه ليس له وجود، وما في هذه المدينة إلا رجال مثلي، والذين يشبهونني

في كل شيء؛ لهم ملامحي نفسها، ويدي الخشنتين نفسهما، و مصيري الموضوع على كف عفريت، أما رجال الروايات والمسلسلات وحكايا الجارات، فهو مجرد وهم يا محجوبة .. وهم كاذب وخادع ومضلل.. هذا زمن آخر يا محجوبة، وأنت قلت هذا.. زمن كذوب ولعوب ومتلون كالحرباء..(يطرق الباب من جديد)

الصـــــوت : المحجوب. أعياني الانتظار، فهل أدخل؟

المحجـــوب : تفضل. ادخل. الباب مفتوح..

(يدخل القايد صاحب الصوت وإذا هو الآخر، وقد أصبح في زي صياد الكلاب)

الـقايـــــد : الله الله.. سيدي المحجوب مع للا محجوبة وأخوكم القايد في العراء ينتظر رحمةالله. ما هكذا تكون الأشياء يا عباد الله. هذا ظلم وتعسف واستغلال للنفوذ. ..إنني أحتج..

محجـــوبة : من؟ أنت مرة أخرى؟ وفي بيتي؟

الـقايـــــد : دخلت من الباب. وحق الله. وإنني ضيفكما المبجل..

المحجـــوب : أتعرفينه يا محجوبة ؟

محجـــوبة : وأنت أيضاً تعرفه. إنه الآخر يا محجوب، غريمك الذي كان.. إيه ..رحم الله أيام زمان..

المحجـــوب : ماذا تقولين يا محجوبة ؟ الآخر لاوجود له..

محجـــوبة : لاوجود له؟

المحجـــوب : نعم. أو أنه وحده الموجود، وهو كل الناس..

محجـــوبة : لم أفهم..

المحجـــوب : أفهمك. فأنا مثلاً. يمكن أن أكون الآخر. وذلك بالنسبة لك أوله أو بالنسبة لأي شخص آخر غيره. أنا الآخر وأنت الأخرى وهو الآخر، وحتى هذا المخلوق الذي يقود البغل آخر، وحماتي السيدة أمك هي أيضاً امرأة أخرى، سواء في هذه الدنيا الفانية أو في تلك الدار الأخرى..

الـقايـــــد : أحوالي تحسنت، وأصبحت مهماً. إنهما يتناقشان حول

شخصي المبجل، وغداً يعلم الله. قد أصبح حديث البلاد والعباد..

محجوبة : اسمع يا سيدي المحجوب. هذا الرجل. هذا. إنه يتبعك، ويلاحقك وكأنه ظلك..

المحجوب : وما يدريك قد أكون أنا ظله، ونحن لا ندري..

محجوبة : سبحان الله... ساءت أحوالك أيها الرجل..(وهي تتأمل زيه الجديد)

القايد : نعم. ساءت كثيراً. وتنكرت لي الأيام. وحتى الليالي. وأصبحت أنتظر عند الأبواب..

محجوبة : آه. أين راحت الفخامة التي كانت؟ وأين اختفى ذلك الجلال وتلك الأبهة ؟

القايد : الفخامة يا للا مازالت موجودة وهي بألف خير..

محجوبة : حقاً ؟

القايد : وحتى ذلك الجلال الذي تعرفين، وتلك الأبهة أيضاً، كل شيء موجود عند أصحابه، أو عند المتطفلين عليه، أو عند الذين لا يستحقونه. في وطن الفوضى كل شيء ممكن، وفي بلاد الغربة والغرائب، لاوجود إلا للغرائب والعجائب ..

المحجوب : يا محجوبة.. دعي الرجل، فهو لا يعرف إلا بغله وعربته، وتذكري أيضاً، بأن ربك يخلق من الشبه أربعين (شحطاً) مثل هذا، وهذا فقط، واحد منهم، وماذا تقولين لو رأيتهم كلهم؟

محجوبة : (وهي تتأمل وجه القايد عن قرب) أقول سبحان الله. الصورة هي الصورة، ولكن العبرة تبقى في الأشياء الأخرى. حقاً، إن من يقود الناس بالحكمة، ليس كمن يقود بغلاً معوقاً..

المحجوب : آه. ذكرتني بالبغل. أين تركته أيها الموظف؟

القايد : لقد ربطته عند بوابة العمارة..

المحجوب : الله أكبر. قضي الأمر يا قائد البغل. ضيعت صاحبك ورفيقك وأنت لا تدري..

القايد : ضيعته؟

المحجوب : نعم. لقد تركته في عهدة الأبالسة والشياطين. ألا تعرف بأن

أطفال هذا الحي ليسوا كسائر الأطفال؟ و ما دخلت عندهم بهيمة وخرجت سليمة أبداً..

القايــــــد : يا سيدي المحجوب. اطمئن. لقد فكرت في الأمر كثيراً..

المحجـــوب : أنت تفكر ؟ لا أظن..

القايــــــد : ..وقد ربطت البغل والعربة إلى بوابة العمارة. ربطتهما بسلسلة وبقفل غليظ، وأحكمت إغلاقه. وهذا هو المفتاح. انظر. لقد علقته في عنقي..

محجـــوبة : (يشويني فيكما) كل هذه القيامة من أجل بغل؟

القايــــــد : إنه بغل الحكومة يا للا محجوبة..

محجـــوبة : بغل الحكومة؟

المحجـــوب : نعم. ولو ضاع أو مات أو أصابه أي مكروه، فإن هذا الرجل سيحاكم..

محجـــوبة : يحاكم؟ وبأية تهمة؟

القايــــــد : بتهمة إتلاف الملك العام يا للا محجوبة..

محجـــوبة : وليته يضيع، أو يدوسه قطار، حتى أرتاح منه ومن الحديث عنه..

(يطل القايد من نافذة وهمية)

القايــــــد : سيدي المحجوب.. البغل طار. أو طيروه. وحتى العربة لا أثر لها..

المحجـــوب : الله أكبر. وتقولها وأنت هادئ أيها الحلوف؟ هيا. افعل شيئاً.. الباب من هنا..

القايــــــد : أبوابكم تتشابه، وكل الأبواب تؤدي إلى الأحباب..

المحجـــوب : محجوبة. لقد ذهبنا، والمعركة المصيرية بدأت..

محجـــوبة : أية معركة؟

المحجـــوب : معركة البحث عن ذلك البغل الضائع..

محجـــوبة : آه. وما أكثر البغال الضائعة والضالة في ملكوت رب العالمين..

المحجـــوب : باب الخروج من هنا. ألا تسمع؟ وهذا الباب هو باب غرفة النوم، أو هو باب المطبخ، أو هو باب .. لم أعد أذكر شيئاً،

وأنساني حديث البغل كل شيء .. تحرك أنت .. ماذا تنتظر؟

محجـــــوبة : يا ويلي.. هذا الزوج سيفضحني أمام الجارات.. اللعنة عليك وعلى صاحبك وعلى بغلكما. لقد خيبتما ظني فيكما، القائد ليس قائداً، والوزير ليس وزيراً، وأنا لم أعد أعرف من أكون..

الـقايـــــــد : أحوالنا تحسنت يا للا محجوبة، كنا نصطاد الكلاب (حاشاك) فأصبحنا نصطاد البغال. شرف الله قدرك .. (يخرجان)

محجـــــوبة : اخرجا من الباب الخلفي. من سلم الطوارئ. من هنا.. ألا تسمعان؟ المحجوب.. انتظر.. انتظر قلت لك.. ستفضحني أمام الجيران ..

(تهرول خلفهما ظلام تام)

النفس الثاني

9 - صباح آخر من زمن آخر ..

(السرير نفسه في الوسط، وعليه جسدان يغطان في النوم .. ضوء خافت وصمت مطبق ، فجأة، يكسره جرس منبه الساعة.. تقوم محجوبة وهي مذعورة، وتسكت الجرس)

محجـــوبة : (وهي تتثاءب وتتمطى) آه. هذا صباح آخر. والشمس قادمة بعد حين. صباح آخر، من زمن آخر. كل شيء تغير، وهذه سنة الحياة. فهذا السرير سرير آخر، وهذا الرجل صاحب هذه الجثة هو رجل آخر. وحتى أنا محجوبة التي تعرفون لم أعد من كنت، ولا ما كنت، ولا كما كنت من قبل. أصبحت امرأة أخرى، لقد تقدم عمري، وتراجع حالي، وأصبحت على هذه الحال، وسبحان مبدل الأحوال ..

(جملة شخيرية تنبعث من الجسد الآخر الذي على السرير)

الحــــاج : .. هذا هو الفجر. قم لتتوضأ وتصلي..

الحــــاج : سمعتك.. سمعتك. وهل أذن المؤذن ؟

محجـــوبة : لا. لم يؤذن بعد. ولكن الساعة دقت. وصاح ديك الجيران..

الحــــاج : والماء، هل وضعته على النار؟ أنت تعرفين بأنني لا أتوضأ إلا بالماء الساخن..

محجـــوبة : أعرف. وسيكون كل شيء جاهزاً بعد حين. إنني ذاهبة إلى المطبخ..

الحــــاج : اذهبي رافقتك السلامة..

محجـــوبة : هذا الرجل ليس المحجوب.. آه رحم الله تلك الأيام وتلك الليالي، كانت أجمل وأصدق وأحلى.. المحجوب مات.. مات المسكين، وهو يؤدي عمله بإخلاص وأمانة. مات في ساحة الكلاب وهو يحارب ببسالة .. عضه بغل الحكومة (حاشاكم) وكان مصاباً بالسعار. كان عليه أن يعالج نفسه، ولكنه لم

يفعل ، استسهل الأمر، ولم ينتبه إلا بعد أن وقعت الفأس في الرأس..

(تنبعث من الجسد نفسه جملة شخيرية أخرى، وكأنها احتجاج على ثرثرة محجوبة)

محجـــوبة : يا هذا الرجل. يهديك الله قم..
الحـــاج : إيه .. إيه.. أمهليني دقيقة أخرى. الله يعطيك الخير..
محجـــوبة : له جسد الفيل، وشخير (الحلوف).. يا هذا الرجل قم. فالصلاة خير من النوم..
الحـــاج : نعم. خير من النوم، ومن يقول غير هذا ؟ ولكن النوم أحلى يا محجوبة. خصوصاً في آخر الليل وفي أول الصباح. دعيني لنومي دقائق أخرى..

(تغادر السرير.. ترتدي زياً فضفاضاً ومحتشماً.. تلف رأسها بمنديل)

محجـــوبة : نم أنت. نم يا سيدي ومولاي، أما أنا، فإن الملابس في انتظاري. هذا هو قدري، وما أتعسه من قدر. كل حياتي مختصرة في مكانين اثنين؛ السرير والمطبخ. وهذا هو كل عالمي..(تخرج .. يستيقظ الرجل، ونرى أنه شخصية الآخرنفسه، ولكن في دور جديد .. لقد أصبح زوج محجوبة، وأضيفت إلى وجهه لحية طويلة .. كل شيء فيه تغير)
الحـــاج : الحمد لله.. رأيت الكوابيس هذه الليلة. وكل هذا لأنني أكلت كثيراً. قبح الله شهوة الطعام وكل الشهوات الأخرى. كل مرة أحاول أن أقاوم، ولكنني أنهزم. ماذا أفعل ؟ هكذا شاء ربي أن أكون. وفوق طاقتك لا تلام يا أنا ..
محجـــوبة : (للجمهور) خرج سيدي الحاج؟ إذن يمكنني أن أحدثكم عنه، وعني أيضاً. فبعد أن مات سيدي المحجوب، رحمة الله عليه، جاءتني للا حفصة الخطابة، وقالت لي ، لا لا ..هذا شيء لا يريده الله، ولا يرضي كل الناس من عباده.. أنت ظالمة وآثمة..

أنا ؟ نعم أنت .. حرام أن يضيع هذا السحر الفتان، وأن تذبل الشفاه والخدان.. وحاولت أن أقاوم إغراءها وغوايتها، ولكنني لم أقدر. ومن يقدر عليك يا للا حفصة، خصوصاً وأنك عليمة وخبيرة بنفوس النساء، ونفوس الرجال أيضاً..

(يدخل الحاج وهو يمسك بيده دلواً معدنياً)

الحـــــاج : السلام عن من اتبع الهدى..

محجـــوبة : الهدى؟ أنت ما اتبعت إلا الهوى..

الحـــــاج : وماذا أفعل ؟ هكذا شاء ربي أن أكون، وفوق طاقتك لا تلام يا أنا..

محجـــوبة : هذا هو شعاره في الحياة. إن حسنة هي من عنده، أما إذا كانت سيئة فهي من الشيطان..

الحـــــاج : والشيطان هو الآخر. وهو وحده المسؤول عن كل الأشياء السيئة والقبيحة

محجـــوبة : وأنت. يا سيدي الحاج؟

الحـــــاج : أنا ؟ أنا لست ملاكاً، ولست قديسا، وما أنا إلا عبد من عباد الله.. إذا مسه الخير منوعاً، وإذا مسه الشر جزوعاً ..

محجـــوبة : هذا الرجل زوجي الثاني له في المرأة رأي خاص..

الحـــــاج : بل لديه اجتهادات يا بنت الناس، اجتهادات قد تخطئ مرة، ولكنها في أغلب الحالات مصيبة. أي نعم، مصيبة..

محجـــوبة : صدقوه. في هذه فقط. وكذبوه في كل شيء آخر.. ومن اجتهاداته ما يلي..

الحـــــاج : إن المرأة أصلحكم الله لا تكون امرأة إلا إذا كانت أنثى..

محجـــوبة : أعرف أنكم لم تفهموا معنى قوله. اطمئنوا. سيأتيكم الشرح بعد قليل.

الحـــــاج : أي نعم. وإنني إن شاء الله الرحمن الرحيم سأفعل. سأحلل وأفكك. وأقول وأبين. وأشرح وأملح. إن المرأة دام عزكم ولكي تكون أنثى فإنه ينبغي أن تكون بدينة وسمينة، وأن يبدأ ظهرها من قفاها، أي من هنا. لا حياء في الدين..

محجـــــوبة : وإنني. نزولاً عند هذا ال...
الحــــــاج : .. الاجتهاد. قولي ذلك. قوليها ولا تخجلي، فهو فعلاً كذلك.
محجـــــوبة : أمري لله. ماذا أقول ؟ نزولاً عند هذا الاجتهاد، أصبحت امرأة سمينة. هو يكنز الذهب والفضة، وأنا أكنز له الشحم واللحم، وبهذا نتعاون على الزمان..

(تأخذ من فوق السرير بعض الوسائد الصغيرة، وتحشوها داخل ثوبها الفضفاض)

الحــــــاج : خذي.. (يعطيها وسادة) زيدي هذه القطعة من (البفتيك). خذيها واختاري لها موقعاً استراتيجياً في جسمك..
محجـــــوبة : والآن. يا سيدي الحاج. قل كيف تراني؟
الحــــــاج : الله الله. أنت ملاك يا ملاكي..
محجـــــوبة : أنا ملاك؟
الحــــــاج : نعم. ومن الوزن الثقيل كذلك..
محجـــــوبة : وهل أنت راض عني ؟
الحــــــاج : كل الرضى يا .. (الحلوفة)
محجـــــوبة : وهكذا. يا أولاد الحلال، كنت أمراً، وأصبحت (هبراً)..
الحــــــاج : وأحسن الشواء ما كان لحماً خالصاً، مثلك تماماً يا.. (الحلوفة)
محجـــــوبة : عندما أمشي في الشارع العام. يسير هو في الأوائل وأتبعه أنا. أتبعه وبيننا مسافة قرون من الزمن. ومع الأيام، سمعت أولاد الحي الملاعين يتهامسون ويقولون، افسحوا الطريق.. لقد جاءت بيت لحم.
الحــــــاج : الله أكبر . أنت لست بيت لحم. أنت عمارة لحم. أنت قبيلة لحم. أنت قطيع لحم. أنت أسطول لحم..
محجـــــوبة : قل تبارك الله. وصل على النبي..
الحــــــاج : صلينا عليه وعلى آله وصحبه..
محجـــــوبة : هل رأيتم؟ هو رجل مؤمن وناسك وعابد وزاهد ومتقشف، ليس على نفسه، ولكن على أهل بيته فقط..

الحـــــاج : لا إله إلا الله. كان الله ويبقى الله. ولا يدوم إلا وجه الله..

محجـــوبة : أما إذا حدث مرة وسألته، ما هي مهنتك يا سيدي الحاج، وماذا تشتغل، فإنه يقول..

الحـــــاج : .. إنني أشتغل في الأعمال الحرة. وهل تعرفين لماذا ؟ لأنني رجل حر وشريف ولا شيء يرضيني إلا الأعمال الحرة.. (يخرج)

محجـــوبة : (لنفسها) .. نعم، والنزوات الحرة، والشطحات الحرة، والبهلوانيات الحرة .. لقد علمتني الأيام الجديدة أنه لا يمكن أن أكون سعيدة إلا إذا كنت مغفلة وحمقاء وبليدة، لذلك، طلقت عقلي، وخاصمت علمي وفهمي، وأصبحت شبه عمياء وشبه خرساء.. شروط العيش صعبة ومدمرة. أول مرة رأيت فيها وجه هذا الرجل. كانت في ليلة من ليالي الشتاء الباردة.. كنت جالسة هنا. على حافة هذا السرير وقد زينتني الوصيفة، ومشطت شعري الماشطة، وأصبحت عروسة، وعلى رأسي تاج ذهبي.. مثل هذا. هو تاج العروس، وهو عنوان مجدها وسعادتها.. كنت أنتظر فارس الأحلام، فجاءني هدام الأحلام.. (يسمع صوت سعال رجل) يا ويلي .. لقد جاء العريس.. (تخفي وجهها بمنديل مطرز .. يدخل الحاج وهو في كامل أناقته وأبهته)

الحـــــاج : آحم.. مرة أخرى. آحم. نحن هنا. و(فين الشباب ؟ ها هو. وفين الجمال. ها هو. وفين مولاي العريس. هاهو..(مشيراً إلى نفسه)

محجـــوبة : (وهي تسترق النظر إليه من خلف المنديل) خدعتني الخطابة.. قالت إنه وسيم. وإنه يشبه الملائكة..

الحـــــاج : حتى سيدنا عزرائيل ملاك. وحق الله. هو ملاك من ملائكة رب العالمين..

محجـــوبة : آه. له أذن الضرة، وهو يسمع الكلام، حتى قبل أن أنطقه.. اقترب مني وقال..

الحـــــاج : اعذريني يا بنت الناس، لأنني لا أقدر أن أسلم عليك، فأنا على وضوء..

محجـــــوبة : كانت هذه هي المرة الأولى، وعرفت وزني.. ثم اقترب مني أكثر وقال..

الحـــــــاج : إن طريق الهدى شاق وصعب، ولا يمشي فيه إلا العابدون والمؤمنون والمهتدون، وأنت بلا شك امرأة محظوظة..

محجـــــوبة : (في حياء) الحمد لله رب العالمين..

الحـــــــاج : كان لك ماض مثل كل النساء الجاهلات ولن أسألك عنه، هل تعرفين لماذا ؟ لأن الزمن الذي مضى هو زمن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، وأنه. ابتداء من هذا اليوم، بل من هذه اللحظة، يبدأ التاريخ الجديد، وتشرق شمس الحق والحقيقة. هل فهمت ؟

محجـــــوبة : وقلت فهمت، وما كنت فهمت شيئاً..

الحـــــــاج : من الآن أيضاً .. ينبغي أن تفكري كما أفكر، وأن تسمعي بأذني، وأن تري بعيني.. هل سمعت؟

محجـــــوبة : وقلت سمعت. وما كان كلامه أهلاً لأن يسمع..

الحـــــــاج : وينبغي أيضاً أن يكون لباسك محتشماً ووقوراً، وألا يكشف عن مفاتنك وعن عورتك..

محجـــــوبة : كل ما قلته، سأطبقه إن شاء الله تعالى حرفاً حرفاً، وكلامك على العين والرأس..

الحـــــــاج : اسمعي يا بنت الناس. قلديني في كل شيء ترينه..

محجـــــوبة : نعم. والشيء الذي لا أراه ؟

الحـــــــاج : آه ذلك شيء آخر. والله سميع بصير.

محجـــــوبة : و.. اللحية؟

الحـــــــاج : ماذا بها اللحية؟

محجـــــوبة : هل سأقلدك وأربيها، وأجعلها تصل إلى صدري. لأكون عند حسن ظنك؟

الحـــــــاج : لا لا .. اللحية احتكار رجالي، وبها يعرف المؤمنون من الرجال. أما النساء فيعرفن بالحجاب.. ماذا تنتظرين؟ اخفي مفاتنك. فالشيطان الرجيم حاضر بيننا.

محجـــــوبة : صدقت. الشيطان حاضر بيننا..

الحـــــــاج : هل تصدقين يا بنت الناس إذا قلت لك، إن المرحوم أبي

عاش مع السيدة أمي خمسين عاماً، ولم ير وجهها، ولو مرة واحدة؟

محجـــــوبة : لم ير وجهها؟ وهل كان أبوك أعمى؟

الحــــــاج : لا ..

محجـــــوبة : لم يكن أعمى. وهذا ليس له غير معنى واحد، وهو أن يكون العيب في السيدة أمك..

الحــــــاج : وكيف ذلك؟ أخبريني بالذي فهمت..

محجـــــوبة : فهمت بأن أمك لم يكن لها جمال يغري بالنظر. أنت تشبهها. أليس كذلك؟

الحــــــاج : فكأننا فولة واحدة، وانشطرت شطرين..

محجـــــوبة : سبحان الله. وكانت لها لحية؟

الحــــــاج : آ.. تقريباً..

محجـــــوبة : حقاً. أنت من عائلة شرف وورع وتقوى. أنت من رجال الله. وأبوك من رجال الله. وحتى أمك من رجال الله .. (للجمهور) هذا الرجل الورع لاشيء في قلبه إلا الصلاة، ولازمن في نفسه إلا زمن التعبد والتهجد..

الحــــــاج : الله أكبر. إن قالت محجوبة كلاماً فصدقوها، فالحق ما قالت محجوبة..

محجـــــوبة : وإذا سألتك يا مولانا كم الساعة الآن، فماذا تقول؟

الحــــــاج : أقول لا إله إلا الله..

محجـــــوبة : وبعد لا إله إلا الله. ماذا تقول؟

الحــــــاج : أقول إنها العشاء وثلاثون دقيقة. أقول هذا من غير أن أنظر إلى الساعة..

محجـــــوبة : كانت هذه هي الليلة الأولى.. ومن بعد، سأحدثكم عن الليالي الأخرى..

10 - الصدر الأعظم و«أعوذ بالله»

الحـــــاج : (وحده) خرجت أمنا الغولة. وأصبح من حق عمكم الحاج أن يعود لنفسه، وأن يكلمها، بكل وضوح.. آه .. حقاً، التمثيل صعب ومرهق، ولكنه مفيد وضروري.. وحق الله هو كذلك، خصوصاً مع جنس الحريم..(يخرج من جيب سراويله مشطاً، ويأخذ في تمشيط لحيته بعناية)لقد قررت بعون الله وقوته أن أسافر، وأن أذهب هذه المرة بعيداً جداً. ولماذا أسجن نفسي في هذه البلاد، وقد علمت بأن أرض الله واسعة؟ نعم. سأسافر. وهل تعرفون لماذا؟ لأنني سمعتهم يقولون في الراديو والتلفزيون إن في الأسفار سبع فوائد، وفي بعض الروايات الأخرى فإن فوائد الأسفار بلا عد ولا حصر، وأنه لا أحد يعرف حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى. وأنا.. أنا يا عباد الله أعشق الفوائد، وأموت في عشقها.. أموت؟ وما دخل الموت في كلامي؟ وأي شيطان رجيم وضع هذه الكلمة الملعونة على لساني؟ ومتى؟ بعد أن تحسنت أحوالي، وتفتحت شهوتي للعيش والحياة، وأصبحت قاب قوسين أو أدنى من حياض السعادة..(يغني وهو يمشط لحيته أمام مرآة وهمية)

محجـــوبة : (صوتها وهو قادم) سيدي الحاج.. إنك تغني. أليس كذلك؟

الحـــــاج : أنا؟ أنا أغني؟ أعوذ بالله من الغناء، وأعوذ بالله من رهط المغنين والمطربين.. إنه الراديو يا محجوبة..

محجـــوبة : آه الراديو؟

الحـــــاج : راديو الجيران ..

محجـــوبة : آه. رحم الله الأيام التي كانت، الغناء كان حقاً غناء يا سيدي الحاج، أما اليوم فلا. والراديو دخلته أصوات الحمير وأصوات البغال وأصوات النائحين والنائحات..

الحـــــاج : يا محجوبة.. الغناء لهو. هل سمعت؟ والكلام فيه مكروه، والاستماع إليه مكروه، ومن الأحسن أن تهتمي بما ينفعني .. وبما ينفعك أيضاً..

محجـــوبة : أنا أيضاً قلت لنفسي إن الغناء لهو، وإنه لا يليق بامرأة مثلي

ولا برجل في مثل وقارك..

الحـــــاج : (للجمهور) ألم أقل لكم إن التمثيل مفيد وضروري؟ لقد صدقتني، واقتنعت بما قلت..

محجـــوبة : نعم. لقد اقتنعت.. اقتنعت بأن التمثيل مفيد وضروري. إنه يمثل، وأنا أيضاً.. (تختفي)

الحـــــاج : (للجمهور) نعود لمسألة السفر، وأقول، اطمئنوا، لن أسافر وحدي، لأنني وبحمد الله تعالى أقدس الحياة الزوجية، نعم، أقدسها، ولاشيء عندي أحلى من الحلال.. ثم إنني .. أخاف على نفسي من الفتنة، لهذا فإنني آخذ معي كل أمتعتي، وآخذ شيئاً مما ملكت أيماني. وهذه المرة، سآخذ معي زوجتي الأخيرة محجوبة، وأطير بها في السماء.. الأوراق جاهزة.. وها هي في جيبي. والإجراءات تمت، ولم يبق سوى أن نتحرك نحو المطار، وأن نطير.. يا عباد الله افهموني.. إنني أريد أن أطير.. (ينادي بأعلى صوته) يا محجوبة. ألا تعرفين؟ الطائرة وربانها وعمالها وكل الناس لا ينتظرون إلا مقدمك الكريم؟

محجـــوبة : إنني قادمة يا سيدي الحاج. فلا تقلق..

الحـــــاج : الطائرة وقتها معلوم ومحدد، وما أظننا سنكون في الموعد..

(تدخل محجوبة وهي تحمل حقيبتين كبيرتين .. وعلى صدرها تدلت أكثر من صرة)

محجـــوبة : إنني جاهزة يا سيدي الحاج، وقد فكرت في كل شيء، حتى (الخليع) وضعته في الحقيبة المعلومة..

الحـــــاج : وسجاد الصلاة، إياك أن تكوني نسيته؟

محجـــوبة : أبدا .. هو موجود هنا ..

الحـــــاج : وحجرة التيمم؟

محجـــوبة : ها هي .. (تخرج له من الحقيبة حجراً كبيراً)

الحـــــاج : وإياك أن تنسي القبقاب الخشبي ..

محجـــوبة : ها هو ..

الحـــــاج : الحمد لله. إذاً اتبعيني. ومن بعيد.. من بعيد جداً .. هل

سمعت؟ وإياك إياك أن تقتربي مني كثيراً.. احتفظي بيننا دائماً بالمسافة القانونية..

(يخرج.. تتبعه محجوبة .. تتمايل بفعل الأحمال الثقيلة .. تتغير الإضاءة، فيصبح البيت فندقاً في بلاد أوروبية .. في الاستقبال يظهر ذلك الذي كان المحجوب نفسه، وقد أصبح في زي مستخدمي الفنادق)

رجل الفندق : (وهو يتكلم في الهاتف) هنا فندق الشرق.. نعم. توصلنا بالفاكس. وقمنا بالواجب. ويمكن أن تشرفوا بالحضور. أهلاً وسهلاً ومرحباً.. نعم. إلى اللقاء..(يدخل الحاج تتبعه محجوبة، وقد وضعت النقاب على وجهها)

الحـــاج : السلام على من اتبع الهدى..

رجل الفندق : صباح الخير مسيو. أية خدمة؟

الحـــاج : أريد غرفة كبيرة، بسرير كبير وحمام كبير، وحتى تدخلها حرمنا بكل سهولة فنحن نحتاج إلى باب كبير.. هل فهمت يا مسيو؟

رجل الفندق : آه. أنت لست وحدك. معك هذه السيدات..

الحـــاج : كلمني أنا. فأنا الرجل، وأنا الذي سأدفع لك الحساب إن شاء الله.

محجـــوبة : (تكلم نفسها بصوت هامس) وجه هذا الرجل الإفرنجي ليس غريباً علي.. يا الله. كأنه وجه المحجوب. زوجي الأول. رحمة الله عليه..

رجل الفندق : (مقترباً من محجوبة) غير ممكن. أهذه أنت يا سيدتي؟

الحـــاج : أتعرفها يا مسيو؟

رجل الفندق : ومن أقدم العصور.. إنها الصدر الأعظم..

الحـــاج : ماذا يقول هذا الإفرنجي؟

رجل الفندق : هذا شرف كبير لفندق الشرق. الصدر الأعظم عندنا؟ يا مرحباً يا مرحباً..

الحـــاج : خذ.. هذه أوراقنا يامسيو.. (يعطيه ملفاً كبيراً) ففيها كل البيانات المطلوبة .. الاسم والنسب وتاريخ الولادة والعنوان،

واسم الأب واسم الأم وفصيلة الدم..

رجل الفندق : غير ممكن .. هذا جواز واحد فقط؟

الحـــــاج : وهذا هو الجواز الثاني .. تفضل .. (يعطيه ملفاً آخر)

رجل الفندق : جميل.. وأين الباقي يا مسيو؟

الحـــــاج : الباقي؟ الباقي الله..

رجل الفندق : وهؤلاء الذين معك. يا مسيو؟

الحـــــاج : ليس معي إلا حريمي، وهو ممنوع من السؤال، وممنوع من الكلام، وممنوع من النظر إليه..انظر إلى الحروف المرسومة في الجواز، ولا تنظر إلى الصورة ..

رجل الفندق : (وهو يتصفح أوراق الملف، ويتأملها بعناية) صاحبة هذه الصورة هل هي نفسها؟

الحـــــاج : نعم هي نفسها.. ليس الآن طبعاً، ولكن .. في زمن من الأزمان.. لا تدقق كثيراً في الصورة.. يكفي .. قلت لك يكفي، ألا تسمع؟ دع في نفسك قليلاً من الحياء..

رجل الفندق : وهذه العمارة. عفواً.. هذه المرأة المحترمة. هي زوجة سيادتكم. أليس كذلك؟

الحـــــاج : هي الآن زوجتنا.. ومن بعد يفعل الله ما يريد..

رجل الفندق : سبحان الله. كلها.. كلها زوجتك يا مسيو؟

الحـــــاج : كلها؟ (غاضباً) ما معنى هذا الكلام يا مسيو؟

رجل الفندق : يا إلهي... اللعنة علي.. العفو سيدي .. العفو ..

الحـــــاج : لقد عفوت عنك ..

رجل الفندق : شكراً .. شكراً .. ربما خانني الكلام

الحـــــاج : ومن يدري؟ قد يكون أنت الذي خنته، وانحرفت به..

رجل الفندق : أبداً. أبداً يا مسيو. لقد كان قصدي أن أسألك. هل هي زوجتك وحدك؟

الحـــــاج : أنت ..(لمحجوبة) لماذا تضحكين؟ ألا تعرفين أن الضحك بلا سبب من قلة الأدب؟

محجـــــوبة : (لنفسها، وهي تكتم ضحكها) ضحكت. ولدي مليون سبب..

رجل الفندق : مرة أخرى خانني الكلام. إنني فقط يا مسيو أريد أن أعرف. هل هذه المرأة امرأة واحدة؟

محجـــــوبة : لم يقل تبارك الله. ولم يصل على النبي.. اللعنة عليه وعلى ذريته من بعده

الحـــــــاج : نعم. هي امرأة واحدة. هل لديك مانع؟

رجل الفندق : لدي فقط تعليق بسيط. بعد أن انتهت كل أسئلتي..

الحـــــــاج : وما أسخف أسئلتك أيها الإفرنجي..

رجل الفندق : أعرف. وأعدك بأن تعليقي لن يكون كذلك. فهل تسمح سيادتك.؟

الحـــــــاج : ماذا تريد أن تضيف؟ قل ما لديك ودعني.. تكلم..

رجل الفندق : لقد اكتشفت يا مسيو بوسائلي الخاصة أنك رجل ذكي. وأنك قد حسبتها بمنطق التاجر الشاطر..

الحـــــــاج : يا رب العالمين. ماذا يريد أن يقول هذا الإفرنجي؟

رجل الفندق : أنت نمس وثعلب، وإنني أهنئك يا صاحبي.. (يضحك معه وكأنه صديقه)

الحـــــــاج : تهنئني؟ على أي شيء؟

رجل الفندق : على أنك ضربت أربعة عصافير بحجر واحد..

محجـــــوبة : (للجمهور) بيني وبينكم، سيدي الحاج لا يريد أن يفهم..

رجل الفندق : آه. أنت إبليس النحيس .. (للجمهور) مرة أخرى سيدعي بأنه لا يفهم. يامسيو. هذه اللحية لحيتك، وتلك الجبهة جبهتك. وقد عرفتك..

الحـــــــاج : عرفتني؟!

رجل الفندق : نعم. أنت من عائلة الأفاعي الرقطاء. فلا تنكر..

الحـــــــاج : الملعون. يمازحني ولاشيء بيننا.

رجل الفندق : ورغم هذا الشعر الذي في وجهك. فأنت بلا شك من فصيلة القنافذ الملساء..

الحـــــــاج : الأمر أكبر من المزاح يا محجوبة. وحق الله إنه يستفزني وقد حانت ساعة الحسم وإراقة الدماء..

محجـــــوبة : سيدي الحاج. ماذا تنتظر؟ العصا في يدك. توكل على الله وأدبه، وتذكر بأنه شرفك، والشرف غال جداً جداً..

رجل الفندق : حقاً أنت عبقري. أنت نابغة الزمان والعصر والأوان. أنت مصيبة وكارثة . يا إلهي . ماذا أقول أيضاً؟ ففي امرأة واحدة

تزوجت (عراماً) من النساء. وبضربة واحدة يا مسيو.. ضربة واحدة فقط. امتلكت مثنى وثلاث ورباع..

الحــــــاج : هيه ..(في غضب) التزم حدودك أيها الإفرنجي.. التزمها وإلا..

رجل الفندق : وإلا ماذا يا مسيو؟

الحــــــاج : وإلا. والله وبالله وتالله سأعلن عليك الجهاد، وسأجعل لحمك في لقمة، ودمك في (جغمة)..

رجل الفندق : يا إلهي.. هذا رجل غير ديموقراطي، وغير اجتماعي، وغير مدني، وهو لا يفهم إلا لغة العنف. ابتعد عني..

الحــــــاج : ماذا يقول هذا الملعون؟ أنت الذي ينبغي أن تبتعد عنا. هل تريد أن تعرف لماذا؟

رجل الفندق : لماذا ؟!

الحــــــاج : لأنك في بيتنا. وفي بلدنا. هل فهمت؟ المشهد انتهى. ونحن الآن في مشهد آخر..

رجل الفندق : انتهى؟ وكيف؟ أنا لم يشعرني بذلك أحد..

الحــــــاج : انتهى. قلت لك. ولم يبق سوى أن تمتعنا بشيء من قلة النظر في وجهك الكئيب. هيا. انصرف يا مسيو..

رجل الفندق : كان حواراً بيننا. ولكن الرجل ذبحه ذبحاً. وإنني احتج، وأدين وأشجب.. إنه غير مدني ، وغير ديموقراطي، وغير متسامح..

(يحول واجهة الاستقبال في الفندق، لنعود إلى البيت الذي كان من قبل.. يخرج وهو يمضغ كلاماً غير مفهوم)

11 - قلب حيران، بين الأخوات والإخوان ..

(يعود الحاج ومحجوبة إلى بيتهما .. يدخلان وهما يضحكان)

محجـــوبة : واللـــه وباللـــه، لقد أفحمتـــه يا سيدي الحـــاج، وأخرســـت لسانه. وكل هذا بالكلام، ولكن، أي كلام؟ ماذا أقول فيك؟ الله يحفظك، ويحميك، ويعطيك الصحة والعافية..

الحـــاج : ها.. لقد رأيت الرجولة. أليس كذلك؟ (منتفخاً بزهو)

محجـــوبة : رأيتها، وحق الله رأيتها..

الحـــاج : إذن. قولي (باز) وصلي على النبي..

محجـــوبة : قلتها في سري وعلانيتي، وصليت على المصطفى الكريم مليون مرة..

الحـــاج : الرجولة يا امرأة ليست كلمة، ولكنها قوة ونخوة وعظمة وقدرة وجاه وأنف في السماء. هكذا..انظري ..(يرفع أنفه إلى السماء بشكل مبالغ فيه)

محجـــوبة : (تضحك) وكل هذا بالفصاحة التي أعطاك الله..

الحـــاج : نعم. وبالهيبة أيضاً. وأنت تعرفين هذا.. إن طلعتي البهية توحي بالوقار يا للا محجوبة..

محجـــوبة : صدقتي يا سيدي الحاج، وحق الله أنا فخورة بك..

الحـــاج : أعرف.. أعرف يا بنت الناس، وأنت فعلاً تستحقيني، لأنك امرأة مؤمنة وتقية و.. درويشة..

محجـــوبة : يا سيدي الحاج. في كل هذه الدنيا لا أعرف شيئاً ولا أعرف أحداً، إلا أنت..

الحـــاج : أحسنت. وماذا تفيدك المعرفة؟

محجـــوبة : إنني أعرف سيدي الحاج، وسيدي الحاج يعرف الله، ويعرف كل عباد الله ويعرف كل شيء في ملكوت الله..

الحـــاج : (لنفسه) يا سبحان الله. سافرنا ورجعنا، وأصبحت هذه المرأة امرأة أخرى.. (يفكر) فهمت.. هذه بلا شك واحدة من فوائد الأسفار..

محجـــــوبة : أنا الذي ضايقني في سفرنا الجميل هو ذلك (الحلوف) الإفرنجي..

الحـــــــاج : اسمعي يا للا محجوبة.. مرة أخرى، إذا كتب الله، وعدنا إلى تلك البلاد، ولقينا ذلك الرجل الملعون، وقال لنا ذلك الكلام نفسه، فإنني لابد سأكسر ضلوعه هذه المرة، ولابد أن أعلق جثته على عمود التلغراف، وأتركه عبرة للعالمين..

محجـــــوبة : آه. هكذا أريدك يا سيدي الحاج. إن الرجل الذي لا يذبح شاته، ولا يضرب جاره وجارته، ولا يقهر حماته ليس رجلاً..

الحـــــــاج : هذه الحكمة سبق وسمعتها، وقد طبقتها حرفاً حرفاً، وأظنني أستحق أن أكون رجلاً. أليس كذلك يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : بل وأكثر. أنت رجل ونصف. لا . أنت سيد كل الرجال...

الحـــــــاج : أكرمك الله.. (للجمهور) حتى هذا الكلام البديع من ثمار الأسفار.. للا محجوبة. إنني ذاهب لأغير ملابسي، وإنني أوصيك بشيء، وهو ألا تكثري من الكلام في غيابي، خصوصاً مع الغرباء.. (مشيراً إلى الجمهور)

محجـــــوبة : يا ويلي ! ماذا تقول يا سيدي الحاج؟ يعطيني العمى إن كنت سأقول لهم كلمة. إنك تعرفني، وتعرف أخلاقي، فأنا والحمد لله امرأة عاقلة ومتدينة ومهذبة و.. درويشة. وكل ما عندي منك ، تعلمته منك، فأنت المربي والمعلم، وأنت الموجه والحكيم، وأنت كل شيء، وأنا لاشيء..

الحـــــــاج : لقد ذهبت يا للا محجوبة..(يخرج)

محجـــــوبة : يحفظك الله من عيون السوء يا زوجي، خصوصاً من العيون السوداء، ومن العيون المكحلة، ومن العيون الزرقاء، ومن كل العيون الذباحة، ويبعد عنك أولاد الحرام و.. حتى بنات الحرام.. آه. ما أصغر عقول الرجال، وما أكبر غرورهم، وإذا قالوا لكم إن المرأة ضعيفة، فلا تصدقوهم، فهي مستضعفة حتى تكذب، وحتى تتقوى بالحيلة والاستغباء، وهي متهمة ومذنبة حتى تبكي بالدمع الحار، وإذا بكت تطهرت، وأصبحت بريئة مثلي تماماً..

(تضحك)

صـــــوت : (صوت الحاج قادماً من الخارج) من تكلمين يا محجوبة؟
محجـــوبة : لست أنا من يتكلم، ولكنه الراديو.. راديو الجيران يا سيدي الحاج..
الصـــوت : آه. الراديو..
محجـــوبة : اسمعوا. بعد قليل سأحدثكم عن سيدي الحاج، وأكلمكم عنه بالتفصيل الممل، أما الآن، فينبغي أن أفتح هذه الحقائب، لقد عدنا بسلامة الله من رحلتنا العسلية، عدنا ولاشيء في حقائبنا الكبيرة والعتيقة إلا هذه الملابس المتسخة، وهي تحتاج لأن أغسلها بالماء والصابون، وأن أنشرها في وجه الشمس والهواء.. (تجلس إلى الأرض، وتفتح الحقائب الكبيرة، وتخرج ما بها من ملابس وأشياء)هذه سراويل سيدي الحاج، وهذه عمامته، وهذا قميصه، وهذه سراويلي شرف الله قدركم وهذا فستاني الحريري، وهذه حمالات أثدائي وهذه..

(تلقي بالملابس في الهواء .. يدخل الحاج وهو ينتعل قبقاباً خشبياً، ويحمل دلواً صغيراً، ويتمتم بأدعية)

الحـــاج : ما هذه (الجوطية) يا للا محجوبة ؟
محجـــوبة : هذه ملابسك وملابسي، وسأصبنها بعون الله تعالى، وسأكويها بالمكواة الكهربائية، وسأعطرها بماء الزهر والورد ..
الحـــاج : أكرمك الله يا للا محجوبة ..(لنفسه) الرحلة مازالت تفعل فعلها..(يخرج من غير الجهة التي دخل منها)
محجـــوبة : الله الله ! من ورع هذا الرجل ومن مظاهر تقواه أنه بار بأهله.. إنه شغوف بأخواته البنات. ففي يوم من أيام الله، وكان ذلك بعد العشاء، جاءني بامرأة فاتنة سبحان الخالق عيونها نهار، وشعرها ليل..
الحـــاج : (يدخل) أسرار البيوت مقدسة يا محجوبة، وإياك أن تفشيها للغرباء..
محجـــوبة : إنني فقط أكلم نفسي يا سيدي الحاج..
الحـــاج : نفسك كلميها ولكن.. بما يرضي الله. هل فهمت؟ وبما لا يخرج

عما في كتاب الله، وما في سنة رسول الله ..

محجـــــوبة : اطمئن يا سيد الرجال. أنت ما في أسرارك إلا الخير والإحسان، ولقد كنت أحدث نفسي عن أختك الشقراء الفاتنة.. إنها قمر يمشي على الأرض. قمر ليلة التمام.. أي نعم، هي قمر يرتدي سروالاً ضيقاً، ويفوح منها (البارفان) على بعد ليلتين ونهارين و..

الحـــــــاج : يا بنت الناس، ألم أقل لك، مراراً وتكراراً، بأن خير الكلام ما قل ودل؟ إنك تعتدين على ضعفي بالكلمات والعبارات..

محجـــــوبة : الحسن أنطقني يا سيدي الحاج .. حسن أختك الشقراء، وفك عقدة لساني، وجعلني أقول الشعر، وما أنا بشاعرة..

(تظهر امرأة داخل بقعة ضوء ضيقة)

الحـــــــاج : إنها أختي يا للا محجوبة..

محجـــــوبة : سبحان الله ولا إله إلا الله .. لولا أنها بلا لحية وبلا شاربين ، لقلت إنها أنت..

الحـــــــاج : إنها أختي الصغرى.. آخر العناقيد وأحلاها و.. أشهاها و.. هي تشبهني كثيراً.. أليس كذلك؟

محجـــــوبة : كأنكما فولة وانقسمت نصفين. إنها تشبهك في كل شيء. فقط هي شقراء وأنت زنجي، وهي ساحرة وأنت كاهن من الكهان. وهي لها شعرها الحريري في رأسها وأنت شعرك المجعد في وجهك، وهي طويلة وأنت مربع..

الحـــــــاج : (لنفسه في فرح) هذه المحجوبة زوجة مثالية. إنها من فصيلة بشرية منقرضة، أو في الطريق إلى الانقراض، ما أسعدني بها زوجة بليدة، وما أشقاها بي زوجاً، مخادعاً ومكاراً..

محجـــــوبة : تلك المرأة يا سادة يا كرام جاءتني تتلوى كالثعبان، وألقت إلي بالسلام الإفرنجي وقالت البونجور عليك يا مدام، وقلت لها ؟ عليك البونجور ، ورحمة الله تعالى وبركاته .. وباتت الفاتنة..

الحـــــــاج : (مؤكداً) أختي..

محجـــــوبة : في غرفة نومي وفي فراشي.. وبت أنا في المطبخ.. أشم رائحة الثوم والبصل..(يأخذ الحاج المرأة من يدها ويخرجان) وتكرر الحال.. يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وفي كل ليلة يأتيني بأخت من أخواته ويقول لها، سلمي على زوجة عزيزك .. لقد أحصيت له ما يزيد عن المائة أخت .. فيهن الشقراء والسمراء والجميلة و(الخائبة) وفيهن الصغيرة الشابة والعجوز الشمطاء والطويلة والقصيرة والسمينة والنحيفة والناطقة بالضاد والناطقة بالصاد. أمم كثيرة، متحدة ضد ضعفي وجهلي وضد جناحي المكسور..(تخرج المرأة نفسها وهي في زي رجالي، وقد تدلت من وجهها لحية طويلة)وفي يوم من أيام الله، تغير كل شيء، وأصبح سيدي الحاج رجلاً آخر. انقلب فجأة، ودون مقدمات، وأصبح غير ذلك الرجل الذي عايشت وعاشرت، وداريت.. هل رأيتم أخته الفاتنة؟ لقد أصبحت أخاً، والأنثى تحولت بجهد العلي القدير إلى ذكر، له صلعة ولحية وزبيبة في الجبهة، وأصبح بيتنا العامر ملتقى الإخوان في الله، بعد أن كان ملتقى الأخوات في الشيطان .. سيدي الحاج تغير كثيراً، أما أنا فلا، ومازلت منفية ومبعدة في مطبخي...

الحـــــــاج : (يدخل وهو يمسك يد المرأة الرجل) هذا أخ لم تلده أمي، وهو أعز لدي من كل عزيز..

محجـــــوبة : رحمة الله على أمك .. يظهر أنها ولدت فيلقاً من البنات الفاتنات ، وفيلقاً من البنين ..

الحـــــــاج : طريق الله وحدنا، فأصبحنا بحمده وعونه إخواناً..

محجـــــوبة : ما أسعدك بهم يا سيدي الحاج..

الحـــــــاج : يمكنك أن تسلمي عليه يا محجوبة. فهو فعلاً أخي، ولكنه أيضاً أخوك، وأخو كل المؤمنين والمؤمنات..

محجـــــوبة : (تلف يدها في ثوبها وتسلم)مرحباً بك سيدي بين ذويك وأهلك..

الحـــــــاج : أخوتي في الله وهذا واحد منهم ألحوا علي أن أكون أميراً عليهم. فما رأيك يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : أنت؟ أنت أمير ؟! يهديك الله يا سيدي الحاج. قل غير هذا الكلام. فالجدران لها آذان..

الحـــــــاج : يا بنت الناس افهميني. من كان الله معه ورجاله لا يخاف أحداً. لقد أمّرتني الجماعة عليها لأنني الأكثر علماً..

محجـــــوبة : الأكثر علماً أو الأكثر رزقاً ؟ خدعوه بقولهم أمير..

الحـــــــاج : .. والجماعة الآن تبحث لي عن اسم..

محجـــــوبة : اسمك هو .. هل نسيته يا سيدي الحاج؟

الحـــــــاج : لا لا لقد فهمتني خطأ، فأنا أحتاج إلى لقب أميري. لقب يميزني عن الأمراء الآخرين في التاريخ..

محجـــــوبة : عجباً .. حتى أنت ستدخل التاريخ؟.

الحـــــــاج : لقد دخلته يا محجوبة. وقضى الله أمراً كان مفعولاً. هذا الأخ الكريم يقترح علي لقب المنتصر بالله. فما رأيك؟

محجـــــوبة : المنتصر بالله ؟ أنت ؟

الحـــــــاج : واقترح عليّ غيره ألقاباً أخرى. المقتدر بالله والمتوكل على الله والواثق بالله والمعتز بالله. واختلفت الجماعة في هذا الأمر، وفي اختلافها رحمة..

محجـــــوبة : رحمة؟! (لنفسها) أو نقمة.. من يدري؟

الحـــــــاج : واستأذنت الجماعة في أن أرجع إليك وأطلب رأيك. فماذا تقولين؟

محجـــــوبة : ماذا أقول؟ أقول إن أحسن لقب يليق بك يا سيدي الحاج هو.. هو..

الحـــــــاج : هو ماذا. يا للا محجوبة؟

محجـــــوبة : هو (أعوذ بالله). فما رأيك؟

الحـــــــاج : خاب ظني في التي .. تعال نرجع إلى الجماعة، وليفعل الله ما يريد.. (يمسك بيد المرأة الرجل ويخرجان)

محجـــــوبة : سيدي الحاج خرج، ومضى اليوم كله ولم يعد. ومضى يومان ولم تأتني عنه أخبار. ومضت الأيام بعد الأيام، والليالي بعد الليالي وأنا في هذا البيت أنتظر. كل الوساوس طافت بذهني. فرأيته مرة مسجوناً ومرة مجروحاً ومرة قتيلاً، إلى أن جاء أهل الخير والمعروف ونقلوا إلي الخبر اليقين. أخبروني بأن

سيدي الحاج أدركته نوبة عقلية. فباع كل أملاكه، وأخذ معه جماعته، واشترى لها المؤونة والسلاح ورحلوا جميعاً إلى بلد يسمى أفغانستان.. هذا هو مصيري.. مضحك قليلاً، ومحزن كثيراً، وغريب جداً. الزوج الأول مات. في بيته وفراشه وفي بلده، والثاني قتل أو سيقتل في دار الغربة والمنفى..أنا اليوم أرملة و(هجالة) ولم يبق أمامي سوى أن أتنازل عن ذلك الدور الذي كان، دور (مولاة) الدار وصاحبة الرأي و(الشوار) وماذا أفعل؟ الأيام تخلت عني، وخذلتني، وأفقرتني بعد غنى، وأذلتني بعد عز. إنني مضطرة لأن أخرج من هذا البيت، وأن أعمل في بيوت الأغنياء، وأن ألقي بهذا الحجاب إلى الجحيم.. (تلقي به بعيداً) وهذه السمنة الزائدة، ما معناها؟ إنها لا تليق بامرأة هجالة مثلي، ومن حقها أن تتخلى عني. لأخرج الآن، فالمشهد يحتاج إلى إعادة ترتيب، وبعد قليل، سأبدأ فصلاً جديداً من وجودي..

(تخرج وهي تجري)

12 - بداية عصر الصابون ..

(يدخل عاملان من عمال المسرح .. يمدان أسلاكاً وحبالاً لنشر الغسيل.. يحضران طستاً كبيراً جداً .. يضعانه وسط المسرح ثم يخرجان،يتدفق الصابون من الطست، وتتطاير الفقاعات في السماء يرافق هذا المشهد الصامت ألحان شعبية قادمة من بعيد تدخل محجوبة وقد تحررت من سمنتها، ومن زيها الذي كان، وأصبحت أقل شباباً وأكثر شيخوخة)

محجـــــوبة : لقد اكتشفته وحدي، وعرفت طريقه، ولم يدلني عليه أحد. قلت هو الحاجة، وسمعت الناس يسمونه الفقر، وهو مثل الموت تماماً، أو ألعن منه وأفظع.. له وجود كئيب، وله طعم مر، وله ملايين الصور الغريبة. آه من ذلك الشيء القديم الذي تبخر في الهواء .. ظننته حلماً من الأحلام، وإذا به وهم من الأوهام، ذلك العمر الذي كان، أين هو الآن؟ لقد أصبح ذكرى، مضت ساعات الهناء، وطارت وذابت في هذا الفراغ، ومعها راح واختفى كل شيء بديع وممتع.. رحلوا كلهم. تخلوا عني. الثاني بعد الأول، والزوج بعد الزوج، والأم بعد الأب، والأخ بعد الابن، وأصبحت وحدي، أمضغ تعاستي، وأجتر أحلامي وأوهامي..(وهي تصبن) هذه هي النهاية إذن، وقد عرفتها، ومن علاماتها أن يرحل كل شيء، وألا تبقى إلا هذه الأوساخ. يرحل المال والجمال، ويرحل الشباب والفتوة، وترحل الصحة والعافية، ويرحل الأهل والأحباب .. ما أنا اليوم إلا أطلال وظلال. . أطلال عمر كان، وظلال بلا روح وبلا أضواء.هل رأيتم؟ كنت أنا وأصبحت غيري، كنت سيدة وأصبحت خادمة.. أتعبتني أوساخي فزادوني أوساخ الناس.. إنني أعيش لأصبن، وأصبن لأعيش. وسوف أموت يوماً وأنتهي، وتبقى هذه الأوساخ من بعدي، المستقبل لها وحدها، أما المصبنون والمصبنات فكلهم إلى زوال ..لست أدري من أين تأتي كل هذه الأوساخ. إنني أصبن كل يوم، وأعصر كل يوم ، وأنشر كل يوم. وكأنني أحرث في الماء. فهذا القميص هذا كان

في الصبح ناصعاً كالكفن، ولكنه الآن أوسخ من (منديل صفية) وهذا الفستان هذا كان تحفة حقيقية، فانظروا إليه كيف أصبح الآن. إنه (جفاف) لمسح البلاط.. اللعنة عليكم جميعاً. فكروا قليلاً في أمكم محجوبة، فأنا لست من رصاص ولا من حديد وما أنا إلا امرأة من لحم ودم. ارحموني.. ارحموني يا أرباب الأرض يرحمكم رب السماء..(يدخل الرجل محجوب، وهو في زي تقليدي، تؤثثه بقع زيتية كثيرة .. لقد أصبح رجلاً منتفخاً بشكل مبالغ فيه) هذا هو (الباطرون) .. إنه أكبر منتج للأوساخ، وأكبر المالكين لها. فما أسعده أو ما أتعسه.. لست أدري .. يسميه الناس المرفه، أو المرفح..

المرفـــــه : صباح الخير يا أمي محجوبة..

محجـــوبة : أكبر مني سناً، وأكثر أوساخاً، ويناديني أمي! ولكن لا يهم، فهو المشغل وأنا الخادمة، والكلمة الأولى والأخيرة كلمته، حكم الأقوياء على الضعفاء.. (تلتفت إليه) صباح الخير يا سيدي المرفه.. إنه أكبر تاجر للزيت في أفريقيا والشرق الأوسط..

المرفـــــه : وأكبر تاجر أيضاً لعسل النحل، لا تنسي هذا..

محجـــوبة : وكيف أنسى ؟ عسلك عسل خالص، وغير مخلوط بأي شيء، فأنت لا تكره شيئاً أكثر من الغش..

المرفـــــه : أعوذ بالله من الغش، وأعوذ بالله من الغشاشين ومن المزيفين ومن الكذابين..

محجـــوبة : آمين ..

المرفـــــه : وأنا أيضاً تاجر في (الخليع) والقوق والبرقوق والزيتون المشقوق..

محجـــوبة : تبارك الله. وكل هذا من فضل ربي ؟

المرفـــــه : أي نعم، مع شيء قليل من الحظ ومن التفكير والتدبير الحسن. لم تخبريني. أين وصلت يا أمي محجوبة؟

محجـــوبة : أين وصلت؟ إنني أقاوم يا سيدي، وبعنف وشراسة، كما ترى .. (وهي تدعك الملابس بعنف وقوة)

المرفـــــه : رائع.. رائع جداً. يعجبني فيك هذا الوفاء والإخلاص لعملك الشريف والنبيل..

محجـــــوبة : شريف ونبيل ويعجبك، ولكنك لا تقدره حق قدره يا سيدي..

المرفـــــــه : يا أمي محجوبة ماذا تقولين؟ الله وحده قادر على أن يجازيك الجزاء الأوفى، وأن يعطيك كما أعطاني، وأن يغنيك كما أغناني، أما العبد الضعيف مثلي فماذا تنتظرين منه؟ لاشيء..

محجـــــوبة : نعم، وبهذه اللاشيء سوف نعيش إن شاء الله. .. وبها نكذب على أنفسنا، ونوهمها بأننا مثلكم من الأحياء ..

المرفـــــــه : احرصي الله يرضى عليك على أن تخرج ملابسي بيضاء من غير سوء، وعلى أن تصبني وتغسلي أكثر وأكثر، وذلك بأقل ما يمكن من الماء والصابون. وإن كان ضرورياً أن تضيفي مجهوداً إضافياً، فإنني شخصياً لا أرى أي مانع، وأنت كذلك، أليس كذلك؟

محجـــــوبة : أضحكتني يا سيدي المرفه..

المرفـــــــه : (لنفسه) أضحكتها، وهذا معناه أن أفكاري أعجبتها وأقنعتها..

محجـــــوبة : إنني أقول دائماً بيني وبين نفسي طبعاً لماذا الغسل بالماء؟ وفي بلاد كثيرة يصبنون بالتيمم فقط؟

المرفـــــــه : حقاً ؟ ها ها.. حتى أنت أفكارك جهنمية مثل أفكاري..

محجـــــوبة : (لنفسها وهي متضايقة) بخيل، وبليد أيضاً، وبهذا تكتمل (الباهية).. هل رأيتم مع من نشتغل؟ (للجمهور) إذاً قولوا، كان الله في عون أمي محجوبة..

المرفـــــــه : تعرفين يا أمي محجوبة بأن فاتورة الماء فظيعة وقاتلة..

محجـــــوبة : أعرف..

المرفـــــــه : أما ذلك العداد اللعين عداد الماء فهو عدوي الكبير والخطير، وهو لا يشفق ولا يرحم، ولا يدع رحمة الله تنزل على عبده الضعيف

محجـــــوبة : أنت ضعيف؟ وماذا أقول أنا؟.

المرفـــــــه : ها ها. كل هذا ولم أخبرك بما فعل في العداد الآخر..

محجـــــوبة : العداد الآخر؟

المرفـــــــه : عداد الكهرباء، هو عدوي الأكبر والأخطر، وإنني أشكوه وأشكو

أصحابه إلى رب العالمين..(يخرج من بطنه كومة من الملابس ويضيفها إلى(جبل) الملابس الملقاة على أرضية المسرح)

محجـــوبة : ماذا تفعل يا سيدي؟

المرفـــــه : هذه ملابس أخرى، متسخة قليلاً، كما ترين..

محجـــوبة : هذه متسخة قليلاً ؟ يعلم الله لو كانت متسخة كثيراً...

المرفـــــه : قليلاً أو كثيراً لا يهم.. ليس بين الكرماء حساب يا أمي محجوبة. اسمعي الله يرضى عليك هذه الملابس، رشيها بالقليل القليل من الماء، ولكن افركيها جيداً، ولكن .. بحنان.. حتى لا تتمزق ..

(يشرع في خلع الملابس التي عليه)

محجـــوبة : ماذا يفعل هذا الرجل؟

المرفـــــه : الطهارة من الإيمان يا أمي محجوبة..

محجـــوبة : الإيمان ؟! ومن أين يأتيك الإيمان؟

المرفـــــه : في زمن من الأزمان كانوا يقولون، الماء بلا شراء والقبلة بلا كراء والله يلعن تارك الصلاة، واليوم أصبح الماء بالأداء وغداً، يعلم الله ماذا سيقررون في شأن القبلة..

محجـــوبة : وأنت ماذا ستقرر في شأن أجري؟

المرفـــــه : إن غسل ملابس المصلين والعابدين من أمثالي لها عند الله أجر كبير وثواب غليظ..

محجـــوبة : (لنفسها) يراعي حق الله ويأكل حقوق عباده.

المرفـــــه : لقد فكرت يا أمي محجوبة وقلت لنفسي. هذه هي المناسبة، (الجفنة) ها هي، والرغوة موجودة، وأنت هنا. وماذا يبقى؟

(ينزع قميصه ويضعه في الطست، يبقي فقط على سرواله التقليدي)

محجـــوبة : يا ويلي. ما هذا؟ (يشويني فيك) وفي عقلك. اخرج.. اخرج يا سيدي المرفه.. لعنة الله عليك وعلى سيادتك المزيفة.. واللعنة علي أنا أيضاً، وعلى مهنتي التي ليست مهنة.. (يخرج) سنوات

طويلة وأنا أصبن وأصبن، في الصباح والمساء. وبالليل أحياناً، والعمر يمضي ويمضي، ولكن هذه الأوساخ لا تنقضي، وأفكر في أوساخ الناس، ولا أحد من الناس يفكر في أنني أبيع الطهارة، ولا أشتري إلا الخواء والهباء.. (تصرخ بأعلى صوتها) يا أهل الأوساخ في كل مكان ارحموني قليلاً، وحاولوا أن تنتجوا شيئاً آخر غير هذا العفن .. (تتساقط عليها الملابس من فوق) هل رأيتم؟ إن السماء تمطر.. تمطر ملابس الخردة.. شكراً لكم، يا أيها الذين تسكنون في السماء، وتقيمون في مدن السحاب. رسالتكم وصلت، وعرفنا أنكم بألف وسخ، ونقول لكم، نحن أيضاً بخير، ولا يخصنا والحمد لله شيء سوى قلة النظر في ملابسكم العزيزة..

(تأخذ عصاً ، وتشرع في ضرب الملابس وهي تصبن، وذلك على الطريقة القروية في التصبين .. تضرب بقوة وعنف)

13 - ماذا بينك وبين الملابس ؟

(يدخل الرجل نفسه الآخر الحاج، وقد أصبح شاباً يافعاً، يرتدي زياً شبابياً .. يضع سماعات الووكمان في أذنيه، يتلوى في شبه رقص)

الشـــــاب : آه لا لا .. ما هكذا يكون التصبين يا أمي محجوبة. ضعي في قلبك قليلاً من الرحمة، فليس في ملابسنا إلا أرواحنا الطاهرة..

محجـــــوبة : ملابسكم طاهرة؟ إذن تعال شمها، وستعرف كل شيء..

الشـــــاب : ماذا؟ هل قلت شيئاً يا ماما محجوبة؟ إنني لا أسمعك..

محجـــــوبة : ومتى كنت تسمع يا.. ولد سيدي وللا ؟ متى ؟

الشـــــاب : ومع ذلك فقد فهمتك..

محجـــــوبة : وحق الله ما فهمت شيئاً، ولن تفهم شيئاً أبداً ، وستبقى دائماً (في دار غفلون)

الشـــــاب : ماما محجوبة.. اسمعيني جيداً.. إنك تشتغلين بطريقة غير آدمية..

محجـــــوبة : أنـا؟!

الشـــــاب : .. يا إلهي .. إنك تصبنين بشكل همجي وبدائي ووحشي ..

محجـــــوبة : هذا مبلغ علمي، وهذا (جهدي) إنني امرأة مجذوبة، وإنني أصبن على الطريقة الحمدوشية، وفي أحيان كثيرة أصبن على الطريقة الجيلالية أو العيساوية أو الدرقاوية أو النقشبندية، وإذا رأيت شيئاً غريباً فقل (الله يستر)

الشـــــاب : كل ما فيك غريب يا .. ماما محجوبة (الله يستر)

محجـــــوبة : أنت أيضاً. كل ما فيك غريب يا ولدي.. (الله يستر)

الشـــــاب : سبحان الله.. إن كل من يراك وأنت في هذه الجرب القذرة لابد أن يقول..

محجـــــوبة : ماذا يمكن أن يقول؟

الشـــــاب : بأن بينك وبين هذه الملابس عداوة كبيرة وثأر قديم..

محجـــــوبة : لا.. أعوذ بالله. فما بيني وبينها إلا الخير والإحسان، فهي تحبني وأنا أحبها، وهي تعينني وأنا أعينها، وربنا يعين

الجميع.. انظر. هذا القميص. هذا . إنه قميصك. أليس كذلك؟

الشـــــاب : هو قميصي يا ماما محجوبة..

محجـــــوبة : لقد صبنته وفركته وعركته وعجنته عجناً. ولم يبق سوى أن أعصره عصراً..

الشـــــاب : ماذا تفعلين؟

محجـــــوبة : ماذا أفعل ؟ إنني أشتغل كما ترى أشتغل يا .. ولد سيدي وللا بكل صدق وإخلاص..

الشـــــاب : آه.. إنك تمسكينني من رقبتي..

محجـــــوبة : هذا رقبتك ؟ إذاً ، افتح عينيك وانظر كيف أعصر لك رقبتك..

الشـــــاب : آي آي.. هذه المرأة الشمطاء ستقتلني.. يكفي.. يكفي قلت لك..

محجـــــوبة : خذ.. انشر قميصك على ذلك الحبل..

الشـــــاب : ماذا ؟ أتريدين مني أن أضع عنقي في الحبل؟ تحرضينني على الانتحار يا عدوة الشباب والجمال والفتوة..

محجـــــوبة : أنت شاب ؟. (يشويني) في الشباب أمثالك ..اغرب عن وجهي ودعني لهمي وغمي..

الشـــــاب : هذه المرأة لا تزداد إلا غرابة، حكم العمر، أو حكم الفقر، أو حكمهما معاً ؟ لست أدري .. إنها امرأة معقدة ومجنونة، وهي ترعبني بتصرفاتها الحمقاء..

محجـــــوبة : هذا الطربوش. هل تعرفه؟

الشـــــاب : هل أعرفه.. هو طربوش السيد الوالد، ورثه عن جده. أو عن جد جده.. لا أذكر، ولذلك فهو متعلق به، ولا يطيق فراقه..

محجـــــوبة : سبحان الله! طربوش الوالد يحمر خجلاً، أما وجهه فلا. إنه وجه قدّ من صخر أو من قصدير أو من خشب..

الشـــــاب : ماذا تقولين يا ماما محجوبة؟

محجـــــوبة : لقد علمت ياولد سيدي وللا ومن مصادر عليمة وثقة، أن السيد الوالد لا يحتاج هذا الطربوش الأثري والتاريخي إلا مرتين في السنة. فهل هذا صحيح أو غير صحيح؟

الشـــــاب : صحيح.. فهو يرتديه في العيدين؛ عيد الفطر وعيد الأضحى، وهو يؤدي به الصلاة يوم الجمعة، مع الجلباب والسلهام والبلغة، ثم يرد كل شيء إلى الصندوق..

محجـــوبة : آه. والمناسبة الآن على الأبواب..

الشـــــاب : أرجوك ماما محجوبة أتوسل إليك وأقبل يديك، صبنيه بعناية، فهذا الطربوش عزيز على الوالد. عزيز عليه مثل (شكارته) أو أقل كثيراً..

محجـــوبة : لاشيء أعز لدى أبيك من (الشكارة) فهي عينه التي يبصر بها، وهي أذنه التي يسمع بها، وهي يده التي يبطش بها. انظر.. هذا الفراغ يا ولد سيدي ولللا يضع أبوك فراغه الآخر والذي يحسبه رأساً، وما هو برأس..

الشـــــاب : واي.. النجدة.. الإسعاف.. اطلبوا لي المطافئ ، هذه المرأة. امسكوها.. إنها مجرمة وقاتلة..

محجـــوبة : لماذا يصرخ هذا الملعون؟

الشـــــاب : لقد هشمت دماغ أبي وعجنته و(عوجته) و..

محجـــوبة : سبحان الله! ومتى كان لأبيك دماغ؟ ما في جمجمته إلا الهواء والغازات المسيلة للدموع؛ دموع الأرامل والثكالى واليتامى والمقهورين والمقهورات..

الشـــــاب : أنت امرأة حمقاء..

محجـــوبة : وأنت ولد أعور العقل..

الشـــــاب : كل كراهيتك تصبينها على ملابسنا البريئة والطاهرة..

محجـــوبة : نعم، وكل سمومكم القاتلة، تنفثها أنت وأبوك وماماك وأهل بيتك في عروقي.. ابتعد عني وإلا كسرت رأسك.. ابتعد..

الشـــــاب : ماما.. ستقتلني هذه المجنونة.. أين أنت يا ماما؟

محجـــوبة : يا رب العالمين. أمن العدل أن يلبس واحد، وأن يصبن الآخر؟ إنني لا أفهم هذا .. هم ينتجون الأوساخ، وأنا أحاربها .. وحدي؟ غير ممكن.. وهم يفرحون ويسعدون وأنا (أشطح) لهم.. هذا هو (خرجان) العقل يا عباد الله..

14 - الصابون قبل الخبز أحياناً ..

(تدخل امرأة أنيقة، تمشي بشكل آلي يذكر بالسينما الصامتة، بيدها صندوق كبير، تحمله بعناية فائقة .. الصندوق ملفوف في ورق الهدايا، ومحاط بخيط مذهب .. وبحركة بطيئة جداً، تفتح المرأة الصندوق، وتخرج منه ملابس بالية ومتسخة، تشمها ثم ترمي بها بعيداً .. تلقي بالملابس في الماء من غير أن تلتفت إلى محجوبة)

محجـــــوبة : (وهي تراقب هذا المشهد الصامت في اندهاش) ماذا تفعل هذه المرأة؟ ثم أيضاً. من تكون؟ لا أظنني رأيتها قبل الآن.. يا.. سيدتي.. إنني هنا. فكلميني.. قولي أي شيء.. اخبريني على الأقل.. (تخرج المرأة بالحركات الآلية التي دخلت بها) طارت وتبخرت.. راحت هي، وهذه كل مخلفاتها.. (وهي تتأمل ملابسها) وهي فعلاً تدل عليها، وتشبهها و..

(يدخل الرجل محجوب المرفه، وهو في زي ممثل شركة، يمسك بيده بعض العلب ..)

م.الشركـــة : صباح الخير والربح المبين..
محجـــــوبة : بسم الله الرحمن الرحيم.. من أين دخلت أنت؟
م.الشركـــة : من ذلك الباب..
محجـــــوبة : هل أنت سيدي المرفه؟
م.الشركـــة : لا. أنا مواطنه.. نظرياً، لنا الحقوق،نفسها، وعلينا الواجبات نفسها؛ هكذا يقولون في الراديو، فقط هو غني جداً، وأنا فقير جداً جداً.. إنني كما ترين يا للا رجل ممثل..
محجـــــوبة : أنت ممثل؟!
م.الشركـــة : ممثل شركة (قد) الدنيا. وكل شيء مكتوب على هذه العلب..
محجـــــوبة : القراءة ليست مهنتي..
م.الشركـــة : سيدتي.. واي واي. هذا هو البياض حقاً. وهذه هي النظافة وإلا، فلا أنت امرأة عالمة وحكيمة، واختياراتك لا يمكن أن

تكون إلا صائبة، وأنت لا يمكن أن تكوني إلا مصيبة..

محجـــــوبة : حقا.. أنا مصيبة..

م.الشركـــة : النقاء يشم من بعيد يا للا. أعرف أنك امرأة متواضعة، ولذلك فلن أحرجك بالأسئلة الغليظة، سأقول أنا، وأتكلم أنا، وتسمعين أنت. فهل لديك مانع؟ أبداً ،هل سمعتم ؟ لم تقلها هي، ولكنني فهمتها أنا. ما أروع هذه المرأة. فهل يمكن أن نعرف اسمك يا للا؟

محجـــــوبة : أنا ؟ أنا اسمي محجوبة..

م.الشركـــة : اسمها محجوبة ..ماذا أقول لك يا للا؟ الله يحجبك، وينجيك من عين الإنسان وعين الشيطان.. الحسد موجود يا للا، صدقيني، وعين الحسود فيها عود وفيها سفود و..

محجـــــوبة : يحسدونني؟! وعلى أي شيء يا ولد الناس؟

م.الشركـــة : على أي شيء. على هذا البياض وعلى صابونك الفعال. فهل يمكن أن نعرف ياللا بأي صابون تصبنين؟

محجـــــوبة : إنني والله يا..

م.الشركـــة : هل سمعتم؟ إنها تصبن بصابوننا المشهور والفعال. حقاً. لم تقلها هي، ولكنني فهمتها أنا. واللبيب مثلي من الإشارة يفهم. سر هذه المرأة العظيمة يا سادة يا كرام أنها لا تصبن بأي صابون، فهي منحازة إلى الجودة، لأنها سيدة بيت ممتازة، وتعرف من أين يؤكل الصابون.. خذي يا للا. هذه هدية الشركة..

محجـــــوبة : ما هذا ؟

م.الشركـــة : هذا صابونك المفضل..

محجـــــوبة : وأين خبزي المفضل يا ولد الناس؟

م.الشركـــة : الصابون أهم من الخبز. صدقيني.. خذي هذه العلب واعلمي أن هذا وحده هو الصابون الحقيقي، وهو الذي يصبن أحسن..

محجـــــوبة : يا ولد الناس .. كذبوا عليك. أنا التي أصبن أحسن..

م.الشركـــة : ميزة هذا الصابون يا للا تكمن في أنه صابون وفراكة وآلة للتصبين

محجـــــوبة : آلة التصبين هي أنا.. أمك محجوبة..

م.الشركـــة : بهذا المنتوج ستوفرين كثيراً من وقتك الثمين، وسيكون بإمكانك أن تزاولي رياضتك المفضلة، أن تركبي الخيل، أو تزاولي المسايفة أو على الأقل أن تهتمي بأظافرك، وأن تستمعي إلى الراديو، وأن تثرثري مع الجارات، وأن تتصفحي مجلات الموضة، وأن تتابعي أخبار النجوم، وأن تتعرفي على ما يجري في فلسطين وفي العراق وفي أفغانستان..

محجـــــوبة : آه. ذكرتني بذلك الغائب.. ما أظنه إلا قتل مع القتلى يا ولدي. هل أنت فعلاً من هذه الأرض؟ ومن هذه البلاد؟

م.الشركـــة : ما هذا السؤال الغريب يا للا؟

محجـــــوبة : عجباً ؟ إن من يسمعك تتكلم هكذا، يظن أنك من بلاد الشطحان، التي ليس لها مكان..

م.الشركـــة : يا للا .. أنا من هذه البلاد، ومن هذا الحي أيضاً..

محجـــــوبة : يا سبحان الله ! ومع ذلك تتكلم كما يتكلم الراديو والتلفزيون..

م.الشركـــة : يا للا اسمعيني، وافهميني. إن الشيء الذي أتى بي إليك، هو مصلحتك. وحق الله والنبي رسول الله لاشيء يهمني إلا مصلحتك..

محجـــــوبة : مصلحتي؟! أين هي مصلحتي؟ دلني عليها وأجرك على الله..

م.الشركـــة : أنت صاحبة هذا القصر الكبير. زادك الله من خيراته ..

محجـــــوبة : كذبوا عليك يا ولد الناس..

م.الشركـــة : .. وإنك بلا شك تحتاجين لمنتوج مثل هذا ؟ يوفر لك المال، ويحتفظ لك بالشباب والجمال..

محجـــــوبة : المال؟ أنا مالي غير آلتي التي ترى .. (تشير إلى جسدها) والتي تطحنها هذه الأكوام من الأوساخ ..القصر له أصحابه. هل فهمت؟ وما أنا غير خادمة وأجيرة فيه و(الله يجيبك على خير)

م.الشركـــة : آه. هكذا إذاً ؟ ومع ذلك لم نختلف كثيراً يا للا..

محجـــــوبة : وا عباد الله.. هذه المصيبة من أين خرجت لي؟

م.الشركـــة : هذا المنتوج هذا يمكن أن يوفر لك ما هو أهم من المال، فهو يرفع عنك شيئاً من المعاناة، ويضمن لك شيخوخة مريحة، ويجعلك تعيشين إن شاء الله أكثر وأطول.. إيه. ما قولك؟

محجـــــوبة : نعم. وكل هذا من أجل أن أطحن أكثر، أليس كذلك؟ ابتعد عني..

م.الشركـــة : سأبتعد. جسدياً فقط، أما قلبي فسوف يبقى معك.. خذي يا للا. هذه علب أخرى. وهي تحتوي على الصابون الحقيقي، وهو معروف بهذه العلامة. ولا يمكن تقليده أبداً، وإن جاءوك بشيء آخر لا تقبليه، وإن كان صابون تازة، والقي به في وجوههم، وأخبريهم بأنك تحبين هذا، وبأنك تموتين عشقاً فيه، وأنكما منذ الصغر تعاهدتما على الإخلاص والوفاء.. خذي. قربيه إلى صدرك وقولي له (أنت أو لا أحد) و(أنت عمري) و(بعيد عنك حياتي عذاب)

محجـــــوبة : انظر يا ولد الناس.. هل تعرف هذه الآلة المباركة؟

م.الشركـــة : نعم. أعرفها. إنها «الخباطة» يا للا..

محجـــــوبة : أحسنت. وهي من فصيلة العصا التي خرجت من الجنة. قل يا ولد الناس، هل سبق لك مرة وجربت أن تصبن بها؟ لا تقل شيئاً حتى أكمل. لقد قلت من الكلام ما يكفي قبيلة ويزيد، وما رأيك أن أصبنك بها؟

م.الشركـــة : بها؟

محجـــــوبة : بالخباطة ؟

محجـــــوبة : وبلا صابون ولا (فراكة) ولا آلة تصبين وسأجعلك إن شاء الله أنظف من جيب المزلوط..

م.الشركـــة : لا. إن هذه المرأة لا يمكن أن تكون عاقلة. أردت أن أساعدها على التصبين، واختارت هي أن تصبنني..

محجـــــوبة : لم يكذب .. إنه فعلاً ممثل.. ممثل هزلي..

15 - امرأة لم تولد امرأة ..

محجـــــوبة : آه .. ماذا أقول؟ هما غلطتان اثنتان في حياتي.. نعم، هما غلطتان وليس أكثر، ولكنهما مدمرتان وقاتلتان .. غلطتان يا عباد الرحمان (واحدة درتها بيدي، والثانية كاتبت علي، ما بيدي ما اندير)(تضحك) صدقوني .. أنا في البدء لم أولد امرأة، وحق لا إله إلا الله لم أولد إلا كما يولد كل مولود .. عار من كل شيء، من ثوبه ومن اسمه ومن جنسه،ولكن أهلي سامحهم الله علموني ودربوني من أجل أن أصير امرأة.. أسموني محجوبة .. وقلت لا بأس، وحجبوني عن الدنيا .. كل الدنيا .. وما عرفت بوجود شيء يسمى الدنيا.. وعشت مبعدة ومنفية، ولم ترني حتى العفاريت الزرقاء.. وعلموني كيف أصبن وأعجن، وأفهموني أن معرفة الأشياء خير من جهلها.. صنعوا مني امرأة .. امرأة بيت ممتازة ..آه ، ما أشقاني بنفسي .. أيام (الباكور) قليلة جداً يا بنات الناس، وهي تمضي بسرعة.. تظهر فجأة، وتختفي، وتلمع في سمائنا ثم .. تنطفئ.. أمكم محجوبة كانت سيدة بيت .. متوجة بتاج العروس، وكان ذلك في غابر الأيام .. حقاً ، ضيعت الآن كل شيء ، ولكنني ربحت صنعتي .. صنعة تنظيف ملابس الآخرين.. الماضي ضيعته، أو ضيعوه ، والمستقبل في كف عفريت، وأنا بينهما أعيش معلقة في الفراغ، بلا تأمين ولا ضمان وبلا أمان..(تلقى من الكواليس ملابس كثيرة ، ومن كل الجهات) الله الله .. هل رأيتم؟ لقد تحسنت أحوالي، ولم يعد هناك أحد (بحالي) .. أصبحوا يرمونني بالورد والزهر، فما أسعد أمكم محجوبة .. (تكلم أشخاصاً وهميين في الكواليس) شكراً .. شكراً على الهدايا التي لا تقدر بصابون.. ماذا؟ هل سمعتم؟ لقد أجابوني وقالوا، لا شكر على أوساخ.. هكذا تكون الآداب الرفيعة، وأنا أيضاً، ينبغي أن كون في المستوى، أليس كذلك؟ وأن أرد لهم التحية بمثلها، أو بما هو أحسن منها.. خذوا .. (تأخذ في إعادة الملابس إلى الجهة التي أتت منها)

هذه بضاعتكم المعطرة نردها لكم .. وهي مشفوعة بالتحيات الطيبات، وموصولة بالأماني الزكيات .. خذوا .. (تلتفت إلى الجهة الأخرى، فتجد أن ملابس أخرى تلقى منها) ما هذا؟ إنهم يصرون إصراراً كبيراً على الكرم العظيم .. (تنادي بأعلى صوتها) يا أيها الناس .. جعل الله بيوتكم دائماً عامرة.. عامرة بأي شيء؟ عامرة بالأوساخ المباركة، وهل لديكم غيرها؟ ونحن بعون الله مع قوته نقتسمها معكم، تأخذون أنتم الأموال وتسمونها وسخ الدنيا، وتعطوننا نحن الأوساخ وتسمونها فقراً، وهذا منتهى العدل ومنتهى الإنصاف (وهي ترمي وتلقي الملابس إلى الخارج .. وتعود إليها الملابس نفسها من كل الجهات)لا .. لا .. غير ممكن .. أيها الناس .. ارحموا عجزي وضعفي .. ارحموا شيخوختي .. ألا ترون يا أهل العيون المفتوحة أنني أغوص وأغرق .. أغرق في حوض الماء والصابون، وأنني أموت في كل لحظة مرتين.. ارحموني. ارحموني.. وحدي لا أقدر على شيء والمقاومة أصبحت عبثاً في عبث .. صدقوني .. أنتم لا شي يطهركم اليوم إلا الطوفان.. طوفان الماء والصابون، وهو بلا شك قادم.. إن لم يكن اليوم فغداً، أو بعد غد، أو بعد بعد غد ..سيأتي الطوفان يوماً .. نعم سيأتي .. صدقوني .. (يدخل الشاب وهو في حالة توتر شديد.. يفتش في جيوبه بعصبية .. ترتطم بعض الملابس الطائرة بوجهه، فيبعدها عنه بعصبية)

الشـــــاب : قالت سيأتي .. وقد أتيت .. (يتجه صوب جبل الملابس، ويأخذ في البحث عن شيء ما)

محجـــــوبة : ماذا تفعل يا .. ولد سيدي؟

الشـــــاب : لقد نسيته في جيب من جيوبي ..

محجـــــوبة : نسيته؟ ماذا نسيت؟

الشـــــاب : شيئاً مهماً وخطيراً، عليه يتوقف كل شيء .. يتوقف وقوفي على قدمي، ويتوقف رأسي على جسدي ..

محجـــــوبة : سبحان الله .. ومتى كانت لك في جيبك أشياء مهمة؟ ما أعرفه عنك، هو أن أباك البخيل لا يعطيك شيئاً ..

الشـــــاب : نعم، ولكن ماما تعطيني كل شيء ..

محجــــوبة : ماماك؟ يعطيها الذل .. (لنفسها) سارقة وزوجة سارق.. تأخذ من جيب الوالد، وتضع في جيب الولد ..

الشـــــاب : آه .. ليتني أقدر أن أتذكر ، فقد كان في جيب من الجيوب ..

محجــــوبة : ومن كانت جيوبه كثيرة، لابد أن يضيع أشياءه ..

الشـــــاب : أنت .. ماذا تفعلين.. ساعديني، وتذكري معي .. ماذا كنت أرتدي هذا الصباح؟

محجــــوبة : تذكر وحدك .. الملابس ملابسك، والجيوب جيوبك ..

الشـــــاب : ما هذا الذي تقول هذه المرأة العجوز؟ إنها ترفض طلبي، مع أننا كرماء معها، وندفع لها الأموال الطائلة من رزقنا ..

محجــــوبة : بأموالكم نعيش، ونربي الريش ..

الشـــــاب : إنني لا أقدر أن أتذكر، وحالتي لا تسمح لي بذلك .. إني في حاجة إلى ذلك الشيء .. ساعديني على أن أجده، ولك ما تريدين .. ساعديني .. أتوسل إليك .. أقبل يديك .. (ينحني ليقبل يدها)

محجــــوبة : آه .. فهمت .. أنت تتحشش يا رأس الغول ..

الشـــــاب : هس .. استريني (الله يخليك) استري عرضي، فما أنا إلا (ولية) مسكينة

محجــــوبة : ما كل هذا السعد الذي نحن فيه؟ حشاش بيننا ؟ يا مرحباً يا مرحباً .. ما أسعد ماماك بك ..

محجــــوبة : لا لا .. أرجوك لا تفهميني خطأ يا ماما محجوبة .. إنني فقط أتناول ما يعدل مزاجي ، ويجعل هذه الدنيا في عيني أحلى وأبهى ..

محجــــوبة : آه .. هكذا؟ ما شاء الله ولا إله إلا الله .. فلوس الحرام تتبخر في الظلام، وقديماً قال الناس ..

الشـــــاب : ماذا قال هؤلاء الناس؟

محجــــوبة : قالوا، فلوس اللبن، أو فلوس الزيت، يأكلها زعطوط .. سبحان الله .. حتى صاحبك زعطوط هذا، له غوله الأكبر منه، والذي يأكله، ويأكلنا جميعاً..

الشـــــاب : (لنفسه) هذه المرأة العجوز تهذي، وتقول أي كلام ، وحالي

الآن حال سيئ، بل وأكثر من سيئ، وهو لا يسمح لي بأن أسمع مثل هذا الكلام .. (ينصرف عن المرأة ، ويغرق بين أكوام الملابس .. يفتش في جيوب السراويل والقمصان بعصبية شديدة)

محجـــوبة : هذه الملابس .. ولأوساخها الشديدة، لا يمكن أن تصبن إلا بالأرجل، وهي لا تستحق إلا الرفس بالأقدام .. هكذا .. (تقف داخل الطست، وتضع قدميها وسط الرغوة، وتنخرط في (جذبة) قوية وعنيفة، يصاحبها عزف طقوسي حاد) لا تسامح مع الأوساخ .. ولا تساهل معها، والعنف العنف يصبن أحسن، ويغسل أحسن ، ويطهر أحسن..

16 - الخاتمة

(يدخل ممثل الشركة من جديد .. يدخل وهو يحضن علبه التي تحجب وجهه .. تسقط من يديه بعض العلب، فيدفعها بقدميه)

م.الشركـــة : أبشري يا .. أم الدنيا .. لقد عدت إليك ..

محجـــــوبة : أنت .. مرة أخرى؟

م.الشركـــة : نعم .. هذا أنا، وقد عدت إليك يا للا .. ما أسعدك بي .. عدت والعود أحمد ومحمد وحميد.. (يضحك)

محجـــــوبة : مثل هذا الرجل، لا ينفع معه إلا القتل شنقاً .. أو على الأقل، رجماً بالحجارة..

م.الشركـــة : (وهو يدخل مزيداً من العلب .. يأتي بها من الكواليس .. يرتبها بعناية) سبحان الله .. هذه المرأة (الدرويشة) لا تطيق فراقي ..

محجـــــوبة : كذبوا عليك يا ولد الناس ..

م.الشركـــة : (للجمهور) تمزح معي ..

محجـــــوبة : .. أو كذبت على نفسك، وصدقتها .. لست أدري ..

م.الشركـــة : أنا وأنت يا للا لا يمكن أن نفترق، فأنا الصابون وأنت الصبانة، وأوساخ الناس وأوساخنا، هي ما يجمع بيننا ..

محجـــــوبة : لا شيء يجمع بيننا .. هذا الممثل الهزلي سأقتله يوماً .. مثل هذه الوجوه لا يمكن أن تموت إلا مقتولة ..

م.الشركـــة : ها ها .. هذه المرأة خفيفة الدم .. اسمعي يا للا محجوبة، ما رأيك لو تغرقيني في الماء والصابون، وأن تغسليني غسلاً كاملاً من الأساس إلى الرأس جربي هذه المادة العجيبة، وسوف تقولين إن شاء الله، صدق هذا الممثل المحترم، وكذب كل الآخرين ..

محجـــــوبة : لن أصدقك، حتى أراك تصبن .. خذ هذه الملابس واشتغل .. ماذا تنتظر؟ شمر عن ساعديك و(فرجني)..

م.الشركـــة : أنا .. أنا اختصاصي هو أن أبيع فقط، أما ذلك الشيء الآخر فمن اختصاص المحجوبات .. اذهبي أنت وصبني،

إنا هنا قاعدون .. (يجلس على علبه) ننتظر أن نروج هذه البضاعة..

محجـــوبة : أنت دجال أيها المغني ..

م.الشركـــة : ها ها .. ممثل الشركة أو مغني الشركة .. لا فرق .. المهم هو أن نبيع بضاعتنا والسلام..

محجـــوبة : لست أدري إن كنت أحمق، أو أنك تتحامق ..

م.الشركـــة : أحمق؟ أنا؟ ها ها .. مازالت تمزح معي .. من الأحسن لو تقولين، إنني تاجر شاطر ..

محجـــوبة : أنت ؟ أنت تاجر شاطر؟

م.الشركـــة : وبأنني بائع عبقري، وشيطان ماهر .. (تخرج من وسط الطست وتتجه نحو ممثل الشركة)

محجـــوبة : اقترب .. قلت اقترب، ألا تسمع؟ أنت ممثل، وتبيع الصابون .. هذه فهمتها، ولكن الشيء الذي لا أفهمه هو حالتك ..

م.الشركـــة : ماذا بها حالتي؟

محجـــوبة : عجباً .. يسألني أنا .. ولو سأل المرآة لعرف كل شيء .. تبيع الصابون المسحوق يا ولد الناس وأنت مسحوق؟ تبيع الصابون، ومع ذلك ترتدي هذه الملابس المتسخة .. اخبرني .. كيف تفسر هذا؟

م.الشركـــة : ها ها .. كيف أفسره؟ الأمر سهل يا للا .. ألم تسمعي قول القائلين.. الجزار يتعشى باللفت، وعليه، فمن المنطقي أن تكون ملابس الصبان متسخة، والبرهان هو أنت وأنا .. ها ها ..

محجـــوبة : سبحان الله .. عالم غريب وعجيب ..

(يخرج الشاب من بين أكوام الملابس .. يقترب من محجوبة)

الشـــــاب : ماما محجوبة .. هنئيني، فمازال شيء من دماغي في رأسي .. أخيراً تذكرت وعرفت..

محجـــوبة : ماذا عرفت؟

الشـــــاب : أنني هذا الصباح كنت أرتدي سترتي الوردية .. تلك المخططة بخطوط خضراء ..

محجـــــوبة : الحمد لله على سلامتك ..

الشـــــاب : ماما محجوبة .. أين هي سترتي الوردية؟

محجـــــوبة : المخططة بخطوط خضراء؟

الشـــــاب : نعم نعم . أين وضعتها؟ أخبريني بسرعة .. بسرعة كبيرة أرجوك، فدماغي لم يعد يحتمل الانتظار أكثر ..

محجـــــوبة : تسأل عن سترتك الوردية؟ إنها مع سروالك الخوخي ..

الشـــــاب : وأين هو سروالي الخوخي؟

محجـــــوبة : ألا تعرف؟ إنه على بعد شبرين من جلباب أبيك الزيتي ..

الشـــــاب : وأين هو جلباب أبي الزيتي؟

محجـــــوبة : إنه على بعد سراويل قليلة من قفطان أمك الفجلي ..

الشـــــاب : وأين هو قفطان أمي الفجلي؟

محجـــــوبة : إنه تحت قميص نومها البرقوقي ..

الشـــــاب : وأين هو قميصها البرقوقي؟

محجـــــوبة : إنه في المكان الذي فيه سلهام جدك العسلي ..

الشـــــاب : ستقتلني هذه المرأة المجنونة .. وأين هو سلهام جدي العسلي؟

محجـــــوبة : إنه على بعد عمامتين من سروال خالتك العكري ..

الشـــــاب : فقدت أعصابي .. ضيعتها .. بالله خبريني .. وبسرعة .. أين هو سروال خالتي العكري؟

محجـــــوبة : ماذا أقول لك؟ لست متأكدة تماماً، فقد يكون فوق أو تحت سترتك الوردية ..

الشـــــاب : وأين هي سترتي الوردية؟

محجـــــوبة : سبحان الله.. أتسأل عن سترتك الوردية؟ لقد أخبرتك بأنها مع سروالك الخوخي .. ألا تذكر؟

الشـــــاب : لقد فهمت .. إنك تسخرين مني ..

محجـــــوبة : آه .. الحمد لله أنك أصبحت تفهم ..

الشـــــاب : انتظري أيتها العجوز الشمطاء.. سأنتقم منك شر انتقام.. سأبعثر لك هذه الملابس التي تصبنين ..

محجـــــوبة : تفعل خيراً يا .. ولد سيدي وللا ..

الشـــــاب : ثقي بأنني لا أمزح معك، وبأنني جاد كل الجد .. سأرمي بهذه الملابس في الهواء .. هكذا .. (يرمي بالملابس في كل الجهات)

محجـــوبة : يا ويلي .. هذا عمل شاق ومتعب، ولا يصح أن تقوم به وحدك.. اسمع .. إن كنت تريد أن أساعدك فقلها .. قلها ولا تخجل يا رأس الغول .. (تضحك) إنني مستعدة لأخدمك، تماماً كما خدمت ماماك وباباك وكل أهلك وعشيرتك ..

(تقهقه بأعلى صوتها وهي تلقي بالملابس في الهواء)

الشـــاب : لا لا .. ابتعدي أنت .. وحدي سأرمي بهذه الملابس إلى الجحيم.. إنها كلها لا تساوي أي شيء .. إنها مجرد ألوان خادعة وكاذبة، وقد سرقت مني متعتي ولذتي، وحرمتني نشوتي وبهجتي، وسرقت مني اطمئناني وسعادتي .. (بهيستيريا) اللعنة على كل الملابس، واللعنة على كل الجيوب، واللعنة على كل الناس في كل مكان ..

(تدخل امرأة وتأخذ في التقاط الملابس التي يلقي بها الشاب في الهواء، ثم تتجه نحو حبل الغسيل، وتنشر عليه ما بيدها من ملابس)

م.الشركــة : ماذا تفعل هذه المرأة؟ إنها تنشر الملابس من غير غسيل ..

محجـــوبة : من غير غسيل؟ وأنت ماذا يهمك من هذا؟

م.الشركــة : ماذا يهمني؟ وهذه العلب .. علب مسحوق الصابون .. ماذا أفعل بها؟

محجـــوبة : افعل بها ما تشاء .. كلها إن شئت، مشوية أو مقلية أو محمرة، إنه لا شيء ألذ من الصابون المسحوق .. (تقهقه بصوت مرتفع)

م.الشركــة : عالم مجانين وحشاشين وحمقى .. أوقفوا هذه المهزلة الأرضية.. أوقفوا هذا السيرك ..

(يستمر الشاب في إلقاء الملابس بعصبية وجنون، وتستمر المرأة في التقاطها ونشرها على حبل الغسيل، ويواصل ممثل الشركة في رد الملابس إلى مكانها)

محجــــوبة : ولماذا تريد أن توقف هذه المهزلة؟ لماذا؟ (تضحك ضحكاً عصبياً)
ألا تريد أن تضحك مثلي؟ اضحك يا رأس الغول.. اضحك .. ألا ترى بأن الحمق يضحك ويبكي .. إنني .. إنني.. ماذا كنت أريد أن أقول .. ضيعتم الكلام من فمي، ولم أعد أعرف ماذا أقول .. أخزاكم الله يا أولاد الأبالسة.. (مرة أخرى تقف وسط الطست، وتأخذ في رمس الملابس بقدميها الحافيتين، تتحرك على الإيقاع الطقوسي المتصاعد في عنفه وقوته) اسمعوني .. أنا محجوبة .. سلطانة الحسن والدلال بلا جدال، في سرير وفراش كان مسقط رأسي، وفيهما كان صعودي وانهياري ، وكان سعدي وبؤسي، وكان اشتعالي وانطفائي .. إنني أكلمكم عن محجوبة.. أكلمكم عني .. ومضت الأيام تطارد الأيام، ومضت الليالي تتنكر لليالي وتخونها وتتبرأ منها .. المحجوب .. زوجي الذي كان، اختار الموت.. ربما لأنه الاختيار الأسهل، ولأن العيش الحق صعب وصعب وصعب .. أما سيدي الحاج، فقد اختار الأوهام على الأحلام، ومشى في طريق غريب.. طريق داخله مفقود والخارج منه مولود .. وبقيت وحدي.. وحدي بقيت أصارع العفاريت التي تسكن الأزياء، وأقاتل الشياطين التي تقيم في دهاليز النفوس المظلمة .. دوامة العيش قاهرة ومدمرة يا .. أولاد الناس، وأمكم محجوبة مازالت تصر على الحياة، ومازالت رغم كل شيء على قيد الحياة، أو على قيد ما يشبه الحياة .. لست أدري .. لست أدري .. (تتوقف الموسيقى فجأة، فتتوقف محجوبة عن الحركة الموقعة وعن الكلام) آه.. ماذا كنت أفعل؟ وحدي لا يمكن أن أطهر كل هذه الدنيا.. ما أغباني من امرأة .. (اللي ولد شي ولد يربيه) هذا هو المنطق.. و(اللي وسخ شي وسخ يصنه) بيديه أو بقدميه أو بأسنانه .. (تحمل صرة كبيرة وتدير ظهرها للجمهور) إنني ذاهبة إلى بيتي .. عائدة من حيث أتيت .. (تلوح بيدها وهي تمشي في مكانها .. تصبح الحركة من حولها أكثر سرعة، ويتحول المشهد إلى ما يشبه مشاهد السينما الصامتة .. فجأة .. يعم الظلام كل المسرح)